رسالة عن الغيرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ م

رقم الإيداع: ٣٠٦٤ / ٢٠١٩

الترقيم الدولي: ٧-٨١- ٦٦١٨-٩٧٧-٩٧٨

الناشر

شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر القاهرة

٠٠٢٢٥١١٧٧٤٧

فرع المنصورة: شارع الهادي عزبة عقل المنصورة

ت: ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣ ٠٠٢٠١٠٠٧٧١١٦٦٥

واتس/ ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣

Dar_Elollaa@hotmail.com

رسالة عن الغيرة

بين خطابِ الشَّرع وسلوكِ النَّاس

تأليف

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

غفر الله له ولوالديه وأهله والمسلمين، وعامله بستره الكريم

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن الا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمد عبده ورسوله، ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

وبعد: فإنَّ الحديث عن الغيرة له من الأهمية بمكان، إذ لا يمكن نكرانه فضلًا عن نسيانه، وذلك لأنَّ الغيرة حقيقة طبيعة في النَّفس البشريَّة السويَّة، والكلام حول هذا الموضوع في ظلِّ الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلاميَّة أمر مهم لا سيَّما في واقع تغريب الدين، وطمس معالم العفة، والحرب الضروس التي تشن على بيوت المسلمين من خلال قنوات إعلامية، وموارد ماليَّة هادفة في حربٍ واضحةٍ على الإسلام والمسلمين، بنية غزو العقول بالشبهات، وملئ القلوب بالشهوات، حرب تعج فيها ريح الخبث، ويظهر في الزيغ والحقد على الإسلام، فلمَّا رأيت الأمر بهذه الأهميَّة، والواقع الذي أمامنا تتسارع فيه الفتن الحياتيَّة، شرعت بمنَّة الله بكتابة موضوعٍ مختصرٍ «عن الغيرة وما يتعلق بها» مذكرًا بها اخواني وأخواتي من أبناء المسلمين وبناته، بتعريف الغيرة، وذكر أنواعها وصورها، ومواقف محمودة نتجت عن الغيرة، وموضوعات متصلة بالغيرة وغير ذاك، فالله أسأل وبه أتوسل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأنْ ينفع به ويكتبَ له القبول، وأنْ يجزيني وأهلي وكل من دلَّ عليه بخير إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

في

١٥صفر، ١٤٣٨ه

أهمية الحديث عن الغيرة

إنَّ الحديثَ عن الغيرةِ ذو أهمية، والكلام عنها ذو شجون، وواقع لا بدَّ من التحدث عنه في زماننا إذ أنَّ مفهوم الغيرة بدأ بالتراجع والانحناء أمام العادات البالية، والتقاليد الظالمة، التي صارت شرعة يتعبد النَّاس بها، ومن خالفها فهو عند البعض على شفا جرف هار.

وإنَّه لمن المحزن أن تكون الرجولة عند بعض الناس في زماننا فقط في العضلات أو بطول الشنبات[١]! مع غياب تامٍ لتقوى ربِّ الأرضِ والسموات، فإنَّ هذا من أخطر المفاهيم الخاطئة حول مفهوم الغيرة، ومعنى التقوى على العموم التي بدأ وهجها يخف، وحقيقتها تتشوه وتنحسر لدى بعض الشباب بسبب الانحناء والسماع لدعاة الضلال والخيانة.

ومن هنا كان لا بدَّ من عرض لمفهوم الغيرة بطريقة شرعيَّة علمية مختصرة، والتي هي بالأصل تكون من تغير القلب وهيجانه؛ كما أنَّها أصلٌ في طبع النَّاسِ وغرائزهم، يقوي وجودها التقوى والخوف من الله تعالى، ولهذا ترى عند الكفار من الدياثة وانعدام الحياء ما لا يعلم به إلا الله؟ وذلك بسب عدم الخوف من الله فضلًا عن غياب معاني التقوى التي هي من معالم

(١) مصطلح الشنبات، (يطلق على الشارب).

أهل الإيمان؛ فإنَّه لا خير والله فيمن لا غيرة له، كما أنَّ مجتمع لا يغار مجتمع ينتشرُ فيه الفشل ويحلُّ فيه الدمار، وتموت فيه أَسْمَى معالم الطُّهر والعفاف، وتختلط فيه الأرحام بغير ما أحلَّ الله تعالى من أمورِ النكاح والزواج.

وكلُّ هذه المنكرات تحصل وتكثر بسبب الذنوب والمعاصي، والتي إذا ما أحلت بقلب وأحاطت بطبقةِ الران، فإنَّ القلب عندها لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

وإذا رأى إبلـــيس طلعـــة وجهـــه ... حيا وقال: فـديت مـن لا يفلـح.(١)

وبسبب هذه العقبات، وتلكما الأمور المعضلات، أصبحت الغيرة غريبة! بسب الغزو الفكري، وتبعية أهل الإسلام لأهل الكفر والخسران في بعض الأحيان، وتارةً تكون بسبب التشبه بالكفار(٢)، وأخرى بسبب التقليد الذي لا يكون في الغالب إلا بسبب الجهل وغياب معاني التقوى والغيرة الإيمانيَّة، ومرة بسبب حصر التحضر وتقييم الناس في المجتمعِ على أسس مادية لا شرعيَّة، وهذه سمات المجتمع الطبقي الذي يقيِّم البشر ويوزنهم على أساس أمور المال والجاه، بخلاف المجتمع المسلم الذي يجعل من الخلق والإيمان أساسًا في معرفة معادن الرجال.

---

(١) الجواب الشافي، (ص٦٩).

(٢) وكان عمر رضي الله عنه يقول: «إيَّاكم وهدي العجم، فإنَّ شر الهدي هديُ العجم» رواه ابن شيبة في «مصنفه»، (٢٥٣٣٦).

✍ **أيُّها الإخوة الفضلاء**: إنَّنا في زمانٍ عجيب، إذ تأنث فيه بعض الرَّجال، وترجل فيه بعض النِّساء، وأصبح بعض أولياء الأمور في البيوت لا سلطان لهم أمام جبروت بعض النِّساء المترجلات بأطباعهن وخصالهن.

وبسب هذه العادات والتبعيَّة العمياء، التي ولدت تغريبة حقيقية عن الدين وقد حمل لواءها، آنذاك دعاة يدعون إلى النَّار، قد تربَّـوا في مدرسةِ عدوِّ الله إبليس الذي كان سببًا في نزع لباس الحشمة وثوب التقى عن آدام وحواء آنذاك، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ [الأعراف: ٢٦-٢٧].

بل إن هؤلاء قد تلقوا من الكفار التشجيع والاحترام، ومن البسطاء القبول والإذعان كما هو مشاهد في العصر الحديث لا سيَّما بعد ظهور التيارات العلمانية القائمة في حقيقتها على فصل الدين عن الحياة، بمعنى «لا دينية»، ليبدأ العمل بمحاربة الدين انطلاقًا من معقل الخلافة الإسلاميَّة العثمانيَّة، ومن ثمَّ أرض الشام بحكم القرب الجغرافي ثمَّ ليتوالى العقد في بلاد الإسلام والمسلمين، ولسان حالهم، ما قيل على لسان بعضهم، «إنَّ المجتمع المدني والعلمانيَّة مطلوبان في المجتمعِ العربي» ولم يكن الأمر يقف عند ظهور العلمانية، بل كان للوجودية مكانٌ ودعاة، وهي بالأصل تتضمن إباحة سافرة في جميع شؤون الحياة، وليس ببعيدٍ عنهما الماسونية العالميَّة،

التي تقوم على شعارات براقة وهدفها استئصال الإسلام ومحاربته بكافة الوسائل، ولسان حال احد قادتهم: «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمديَّة أكثر ممَّا يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات»، وأمام هذه المعتركات وتلك الفتن المغريات التي يجعلونها طعما لكلِّ جيل آت، وقع بعض شباب المسلمين في بحر الشبهات، وغاصوا في لجَّةٍ ظنوا أنها مخاضة فإذا بها الوفاة.

✍ **ومن جميل كلام الشيخ علي الطنطاوي** رحمه الله، **قوله**: «نحنُ نهاجم اليوم من طريقين: طريق الشبهات، وطريق الشهوات، الأول: مرض أشد خطرًا وأكبر ضررًا، ولكنَّه بطيء السريان فليس كل من تُلقى إليه شبهة يقبلها، ولكن كل من تثار له من الشباب شهوة يستجيب لها، فهو مرض سريع الانتشار كثير العدوى، وإن كان يُضني ولا يُفني ويؤذي ولا يميت، والأول: كفر وهذا يوصل إلى الفسق»[١] اه.

وقد قاد هذا الركب في تغريبة المسلمين ممَّن تأثر بهم «رفاعة الطهطاوي»، الذي ابتعث من قبل محمد علي حاكم مصر في القرن التاسع عشر آنذاك، وكان قد تأثر بما في فرنسا[٢] من الانحلال الأخلاقي،

---

(١) يا بنتي وابني، (ص٨)، ط: دار المنارة.

(٢) يقول المنفلوطي في كتابه الحجاب، (ص٣، ٤) «ذهب فلان إلى أوروبا وما ننكر من أمره شيئًا، فلبث فيها بضع سنين، ثم عاد وما بقي مما كنا نعرفه منه شيء.
ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها، وعاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة الماطرة، وذهب بقلب نقي طاهر يأنس بالعفو ويستريح إلى العذر، وعاد ☜

والاختلاط الجماعي، وألَّف في ذلك مؤلفات[١]، ثمَّ جاء من بعده، «قاسم أمين» ليقود السفينة على ما كان سابقه، ثمَّ تتابع العقد وكان من دعاته «هدى الشعراوي»، ابْنةُ عميل الجيش الإنكليزي المحتل، «محمد سلطان باشا»، التي سنَّت سنَّة سيئة تبتُ عن سوءِ فهمٍ، وقلَّة حياءٍ، وانعدام للتربية، إذ أنها قامت بخلع حجابها في ميدان التحرير، بصحبة، «وصفية الزغلول»، في عام، (١٩١٩)م، وسمي ذلك الميدان ب«ميدان التحرير»؟ وذلك لأنَّ المرأة بتصورهم قد تحررت، وأيُّ خزي وذل وهوان أعظم، لمن ترك أمر الشرع، وحكم العقل والعاطفة، ولكن هذا هي معالم الكفر والإلحاد، تبدأ من نكران الشريعة وتحكيم العادات بدعوى التحرر وطلبًا للحريات! ومن هنا يتبيَن الأمر لكلِّ مسلمٍ عاقل وحريصٍ على دينه خطر فتن الشبهات، وقد قيل: «القلوب ضعيفة، والشبه خطافة»[٢]، وقال ابن الجوزي، «ورب فتنة علق به

☜

بقلب ملفق مدخول لا يفارقه السخط على الأرض وساكنها، والنقمة على السماء وخالقها، وذهب بنفس غضّة خاشعة ترى كل نفس فوقها. وعاد بنفس ذهابة نزاعة لا ترى شيئًا فوقها، ولا تلقي نظرة واحدة على ما تحتها، وذهب برأس مملوءة حكمًا ورأيًا، وعاد برأس كرأس التمثال المثقب لا يملأها إلا الهواء المتردد، وذهب وما على وجه الأرض أحب إليه من دينه ووطنه، وعاد وما على وجهها أصغر في عينيه منهما».

(١) من مؤلفاته: «المرأة في الشرق»، و «فرنسا بالذات»، وفيه يدعو إلى الرقص، والاختلاط، وألف، قاسم أمين: «كتاب تحرير المرأة».

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، (٧/ ٢٦١)، في ترجمة سفيان الثوري.

شباها، فكانت سببًا في هلاكه»(١).

وذكر في «تلبيس في إبليس»، «عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قيل لأبي نصر النصراباذي أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم في رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح قائمة فإن الأمر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات»(٢).

فعلى المسلمِ أنْ يحذرَ من خطرِ التقليد والتشبه بالكفار بما فيه مخالفةٌ لدينِ الله، وشريعة المسلمين.

✍ **قلت:** ولا يستغرب أنْ يحصلَ مثل هذا لمن كان والدها عديم الغيرة، معدوم الشرف والوجودان، فهو الخائن العميل، الذي راح يهنأ المحتل بغزو البلاد!

✍ **وفيه وأمثاله من دعاة التحرر والتبرج يصدق:**

وكنتُ امرأً من جندِ إبليسَ فارتقى ... بي الدهر حتى صار إبليسُ من جنـدي
فلو مات قبلي كنـت أُحسـنُ بعـده ... طرائق فسقٍ ليس يحسنها بعـدي!!(٣)

لذلك فقد أصبحت معاني الغيرة والحشمة مهددة في بعض البيوتِ

---

(١) ذم الهوى، (ص٦٢)، ط: دار العقيدة.

(٢) تلبيس إبليس، (ص٣٢٥)

(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي العشر، لمحمد أمين الدمشقي رحمه الله، (٣/ ٣٧٣).

بالانقراض؟![1] إذ انَّ معالم العفة شوهت، وتاريخ الطهر حرف معانيه وأصالته الخالدة، وشرع الله قد حُورب من قبل السفهاء والمخنثين من الرجال، فضخوا له المال، وصوروا له المشاهد والأفلام، وروجوا له بين النَّاس، ولم يتركوا سبيلًا من سبل الضلالة إلا وعملوا عليه، فانحلت بسبب هذه الشبه وتلكم الشهوات فطرة بعض الشباب، وساقهم إبليس بخيله وأجلب عليهم برجاله، فلبس عليهم، وصور لهم الحرام بصورة الحلال، وحاك المؤامرة مع دعاة الانحلال، وجاء الشباب عن اليمين والشمال، ومن الفوق والأسفل، فوقع الشباب؛ رهينة لأماني مكذوبة، وأضغاثُ أحلامٍ موهومة، فصار بعضهم مسلم مهزوم امتلأ قلبه بالشبهات، ومُرِض جسمه بسبب الشهوات؛ فنشأ في المجتمعات شبابٌ مغبون مفتون ساقه إلى ذلك الجحيم إذاعات مدسوسة مرسوم لها خطط معلومة، همها جيل يحب المعازف كحب القرآن، ويعشقُ دون رادعٍ أو خوف من ذي الجلال والإكرام، فراحوا يميتون الحياء، ويدفنون الغيرة بما يصورونه من أنّ العشق أمر مقبول محبوب، ويبعثون له ذلك؛ عن طريقِ نغماتٍ موسيقية تارة، أو مسلسلات وأفلام خليعة ومجون تارة أخرى، وإذا نظرت بعينك علمت أنّ هؤلاء في قمّة الدياثة، وأنَّهم أعوان الشيطان وأعداء الرحمن، وسببٌ في كلِّ

---

(١) بل إن الخطر لم يقف عند الكلام عن الحجاب وحسب، «فقد تكلموا في تحديد النسل، وحاربوا الزواج المبكر على حد وصفهم، وتكلموا في مساوة المرأة بالرجل، وقضية الميراث، وغيرها وهذا كلها خطوات أسست لغربة ثانية نعيش فيها».

سبيلٍ يبعد الجيل المسلم عن الفطرةِ السليمة، فكيف يرضى الرجل منهم أنْ يضاجع رجل أجنبي زوجته في الفراش، ويقبلها في بعض الأحيان على أنَّها في المسلسلِ أو الفلمِ أمه، أو أخته! إنَّ هذا لشيء عجيب. فإذا أدركت ذلكَ علمت أنَّها مؤامرة، قد أخذ البطولة في غالبِ هذه المسلسلات، وفي أهم اللقطات وفي معظم هذه الحلقات، عاشقٌ ومعشوقة، حتى يتأثر له الفتية والفتيات، ولا حول ولا قوة إلا بربِّ الأرض والسموات، ولولا أنَّ الله تعالى قد أمتنَّ على هذه الأمة بأهل فضل ورجالِ علمٍ، يذكرون الناس بماضي سلفهم وحقائق أمجادهم فيما اندرس من مفهوم الغيرة الشرعية، لغابت تلك المعالم الراقية، والمعاني الإسلاميَّة السامية، غيبةً تامة إلا ما شاء الله! وذلك لأنَّنا نعيش في زمنِ الغربة الثانية، فقدْ صارَ حال الفرد المتمسك بدينه المحافظ على «الأمر والنهي» كحال القابض على الجمر.

ومن جميل فوائد الإمام أبي عبد الله القرطبي، في «تفسيره»، «قيل: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء: إمام عادل لا يظلم، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرضون على طلب العلم والقرآن، ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى».

✍ **وقال الحافظ ابن رجب** رحمه الله: «رُوي عن الإمام أحمد أنَّه قيل له: إنَّ عبد الوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دام فينا من يُنكر».

✍ **ومن هذا الباب قول عمر لمن قال له:** «اتقِ الله يا أمير المؤمنين،

فقال: لا خيرَ فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم(١).

✍ **قال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد** ﷾: «وهؤلاء الرُّماة الغاشُّون لأمتهم، المشؤومون على أهليهم وبني جنسهم بل على أنفسهم، قد عَظُمت جرَاءتهم، وتَلَوَّن مَكْرُهم، بكلمات تخرج من أفمامهم، وتجري بها أقلامهم، إذ أخذوا يهدمون في الوسائل، ويخترقون سدَّ الذرائع إلى الرذائل، ويتقحَّمون الفضائل، ويهوِّنون من شأنها، ويسخرون منها ومن أهلها.

نعم قد كتب أولئك المستغربون في كل شؤون المرأة الحياتيَّة، وخاضوا في كل المجالات العلميَّة، إلا في أمومتها وفطرتها، وحراسة فضيلتها.

كل هذا البلاء المتناسل، واللّغو الفاجر، وسَقَط القول المتآكل، تفيض به الصحف وغيرها باسم التباكي والانتصار للمرأة في حقوقها، وحريتها، ومساواتها بالرجل في كل الأحكام، حتى يصل ذوو الفَسَالة المستغربون إلى هذه الغاية الآثمة؛ إنزال المرأة إلى جميع ميادين الحياة، والاختلاط، وخلع الحجاب، بل لتمد المرأة يدها بطوعها إلى وجهها، فتسفع عنه خمارها مع ما يتبعه من فضائل.

وإذا خُلع الحجاب عن الوجه فلا تسأل عن انكسارِ عيون أهل الغيرة، وتقلص ظلِّ الفضيلة وانتشار الرذيلة، والتحلل من الدين، وشيوع التبرج والسفور والتهتك والإباحية بين الزناة والزواني، وأن تهب المرأة نفسها لمن

---

(١) انظر «الحِكَم الجديرة بالإذاعة»: (ص٤٣)، وذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية، (١/ ١٧٣)، «قال أبو عبد الله: لا نزال بخير ما كان في الناس من ينكر علينا».

تشاء.

وفي تفسير ابن جرير عند قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ٢٧﴾ [النساء:٢٧]، قال مجاهد بن جبر ﷺ تعالى: يزني أهل الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩﴾ [القلم:٩][(١)] اه.

وممَّا يخبرك بغربة العفة والغيرة، عندما يكون امرئ، ك «نزار قباني»، شاعرًا أديبًا وما هو فيما يكتب من القصائد إلا شاعر الإباحة والعهر، وأين الأدب إذا كانت قصائده تحمل في بعض عبارتها، وكثير من جملها، تصوير الإباحية وتشخيص المرأة عاريةً كأنك تراها رؤيا عين، فيفتن بتلك العبارات الشباب ويغرب الدين في هذه المجتمعات بدعوى التحضر والآداب، وهو بهذا يدعو إلى الفجورِ ويقود ربان السفينة الهالكة في شاطئ الحياة، ليخلف جيلًا لا يعرف إلا العهر والفجور بصبغة العلم، وبنكهة الأدب، مع تسهيل له من الخلاعة والمجون، والأدهى في «نزار»، وأمثاله أن يكون لهم جمهور وقراء يأخذون مقالته وأشعاره، ومما خطت يداه.

✍ **ومن فجوره إذ يقول:**

لم تبقى زاوية بجسم جميلة ... إلا وقد مرت بها عرباتي
لم يبقَ نهدٌ أبيضُ أو أحمرُ ... إلا وقد زُرعت به راياتي!

---

(١) حراسة الفضيلة، (١٤٤-١٤٥).

فصّلت من جسد النساء عباءةَ ... وبنيتُ أهرامًا من الحلماتِ(١)

فإلى الله المشتكى من هكذا أدب ينسب إلى العربية؛ لذا فإنَّ الواجب على الأمةِ المحمدية في ظلِّ هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين، أنْ تقوي علاقتها بربها وصلتها بكتاب الله من جانب التدبر والتأمل في معانيه، وفهمًا لقصصه التي تحمل في طياتها كثير من الدروس والعبر. فكتاب الله هو الدواء الشافي والحصن الحصين من فتن الشبهات والشهوات، وكل هذا مع قراءة في السيرة النَّبويَّة، ومطالعة في السياسة الشرعيَّة، وتأمل في تاريخ الأمة الإسلاميَّة، ومن والواجبات على أهل العلم تربية الجيل بذكر مآثر السلف، وحثهم على التقلدِ بالقدوة الصالحة المصلحة، لا سيَّما وأنَّ جيل الصحابة الأول من هذه الأمة تربوا بشخص رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

✍ **وعن أمير المؤمنين سفيان بن عيينة** رحمه الله كان يقول: «إنَّ رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل»(٢).

فيا أيُّها الإخوان ما فقدت الغيرة والحشمة في مجتمعٍ، إلا «حلَّت به

---

(١) انظر: الرسم بالكلمات.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، (١/ ١٢٠)، ط: الرسالة.

الزنا، وشاعت فيه المنكرات وفسدت فيه الأسر والعائلات، وكان ذلك سببًا من أسباب ضعف الأمة وهزيمتها، وانتشر بذلك الانحلال، وعمَّت الخطايا والبلايا في البلاد؛ وقد صدق من قال: «إنّ كلَّ أمَّة ضعفت الغيرة في رجالها قلت الصيانة في نسائها!!»

فأسأل الله سبحانه وتعالى أنْ «يزهدنا وإياكم في الحرام، زهدَ من قدر عليه في الخلوةِ؛ فعلم أنَّ الله يراه، فتركه من خشيته[١].

وفي الختام يقول العبد الفقير لعفو مولاه العلي القدير أبي إسحاق عفا الله عنه، وعامله بستره، «وما عسى أنْ يبلغ خاطره المكدود وسعيه المجهود مع بضاعته المزجاة التي حقيق بحاملها أن يقال فيه تسمع بالمعيدي[٢] خير من أن تراه وها هو قد نصب نفسه هدفا لسهام الراشقين وغرضا لأسنة الطاعنين فلقاريه غنمه وعلى مؤلفه غرمه وهذه بضاعته تعرض عليك ومولیته[٣] تهدى إليك فإن صادفت كفؤًا كريمًا لها لن تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان وإن صادفت غيره فالله تعالى المستعان وعليه التكلان وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولا واستحسانا وبرد جميل إن كان حظها احتقارا واستهجانا والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته وسيئاته لحسناته فهذه سنة الله في عباده جزاء وثوابًا ومن ذا الذي يكون قوله كله سديدًا وعمله

---

(١) المجالسة للدينوري (٢٠٧٨).

(٢) ذكره الميداني في الأمثال، (٦٥٥)، وقال يضرب، (لمن خبره خيرٌ من مرآه).

(٣) يعني فضله، ونعمته.

كله صوابًا وهل ذلك إلا المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ونطقه وحي يوحى فما صح عنه فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم فإن صح النقل لم يكن القائل معصوما وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلومًا»(١).

(١) انظر مقدمة كلام ابن قيم في روضة المحبين، (ص١٤-١٥).

معنى الغيرة

(**الغيرة**): بالفتحِ من تغير القلب، وهيجان الغضب؟ بسبب المشاركة فيما به الاختصاص(١).

✍ **وفي لسان العرب:**

«الغيرة هي الحمية والأنفة، يقال: رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء، لأنَّ فعولًا يشترك فيه الذكر والأنثى. وفي رواية: امرأة غيرى؛ هي فعلى من الغيرة. والمغيار: الشديد الغيرة؛ قال النابغة:

شمس موانع كل ليلة حرة ... يخلفن ظن الفاحش المغيار(٢)

✍ **وفي الرسالة القشيريَّة، «قَالَ الأستاذ:** الغيرة كراهية مشاركة الغير، وإذا وصف الحق سبحانه بالغير فمعناه أَنَّهُ لا يرضى بمشاركة الغيرة مَعَهُ فيما هُوَ حق لَهُ من طاعة عبده».

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، (٧/ ٤٦١) وذكره في فتح الباري لابن حجر، (٩/ ٣٢٠) بنفس التعريف وبزيادة، «وأشدّ ما يكون ذلك بين الزّوجين».

(٢) لسان العرب، (٥/ ٤٢)، وعبارة، «الغيرة هي الحمية»، ذكرها ابن قيم، في روضة المحبين، (ص٢٩٤)، بقوله: «وأصل الغيرة الحمية والأنفة».

✍ **وصدق من قال:**

هجـرت الخلـق طـرأ في هواكـا ... وأيتمـت العيـال لكـي أراكـا

ولـو قطعتنـي في الحـب إربـا لمـا ... حـن الفـؤاد إلى سـواكا[١]

✍ **قال النووي** رحمه الله: و (الغيرة: بفتح الغين، وأصلها الأنفة)[٢].

✍ **قال النَّحاس** رحمه الله: (الغيرة: هي أن يحمي الرجل زوجته، وغيرها من قرابته، ويمنع أن يدخل عليهن أو يراهن غيرُ محرم)[٣].

✍ **قال الشيخ بكر أبو زيد** رحمه الله، في رسالته القيَّمة، «حراسة الفضيلة»، «الغيرة: هي السياج المعنوي لحماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط، والغيرة هي: ما ركّبه الله في العبد من قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر، والغيرة في الإسلام خلق محمود، وجهاد مشروع[٤].

(١) شرح حديث «إن أغبط أوليائي»، (٢/ ٧٥٠) من مجموع رسائل ابن رجب وانظر: كشف الكربة، في وصف حال أهل الغربة(ص٥٣)، ط: دار ابن رجب.

(٢) رياض الصالحين، كتاب المراقبة، (ص٤٠).

(٣) زاد المسلم، (٥/ ١٥٨).

(٤) (ص١٣٤)، ط: دار العاصمة.

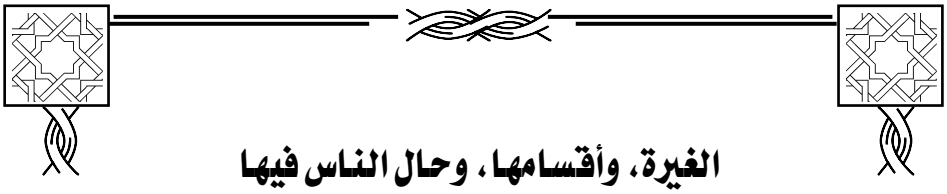

الغيرة، وأقسامها، وحال الناس فيها

ومن أجمع الأحاديث النَّبويَّة في ذكر أقسام الغيرة، وبيانها، ما رواه الإمام أحمد وغيره، من حديث ابن جابر بن عتيك، عن أبيهِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فالغيرة التي يحب الله الغيرة في الريبة، والغيرة التي يبغض الله الغيرة في غير ريبة، والخيلاء التي يحب الله اختيال العبد بنفسه لله عند القتال، واختياله بالصدقة، والخيلاء التي يبغض الله الخيلاء في الفخر والكبر**» أو كالذي قال رسول الله ﷺ(١).

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في «الاستقامة» في ذكرِ أقسامها: «الغيرة المحبوبة هي ما وافقت غيرة الله تعالى وهذه الغيرة هي أن تنتهك محارم الله، وهي أن تؤتى الفواحش الباطنة والظاهرة؛ لكن غيرة العبد الخاصة هي من أن يشركه الغير في أهله فغيرته من فاحشة أهله ليست كغيرته من زنا الغير؟ لأن هذا يتعلق به وذاك لا يتعلق به إلا من جهة بغضه لمبغضة الله.

---

(١) رواه أحمد، (٢٣٧٥٠)، ورواه الدارمي، مختصرًا، (٢٢٧٢)، وانظر: موارد الظمآن، (١٦٦٦)، وهو حديث حسن لغيره.

فالغيرة الواجبة: ما يتضمنه النهي عن المخزي.

والغيرة المستحبة: ما أوجبت المستحب من الصيانة.

وأما الغيرة في غير ريبة: وهي الغيرة في مباح لا ريبة فيه فهي ممَّا لا يحبه الله بل ينهى عنه إذا كان فيه ترك ما أمر الله ولهذا قال النبي ﷺ «**لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**».(١)

وأما غيرة النساء بعضهن من بعض؛ فتلك ليس مأمورًا بها لكنها من أمور الطباع كالحزن على المصائب، وفي الصحيحين عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: كلوا غارت أمكم لمَّا كسرت القصعة وقالت: عائشة أو لا يغارُ مثلى على مثلك»(٢)، «وقالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة»(٣).

ثم ذكر رحمه الله تعالى حال الناس وأقسامهم في الغيرة.

* قوم لا يغارون على حرمات الله بحالٍ ولا على حرمها مثل «الديوث والقواد» وغير ذلك، ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، ومنهم من يجعل ذلك سلوكًا وطريقًا ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨].

---

(١) رواه البخاري، (٩٠٠)، ومسلم، (٤٤٢).

(٢) رواه البخاري، (٥٢٢٥)، وأبو داود، (٣٥٦٧)، والنسائي في كتاب العشرة، (٣٩٥٥).

(٣) رواه البخاري، (٥٢٢٩)، ومسلم، (٢٤٣٥).

* وقوم يغارون على ما حرمه الله وعلى ما أمر به ممَّا هو من نوع الحب والكره، يجعلون ذلك غيرة فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها الله ورسوله، ومنْهم من جعل ذلك طريقًا ودينًا ويجعلون الحسد والصدِّ عن سبيل الله وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرة.

* وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه، فتراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها بل يبغضون الصلوات والعبادات!! كما قال تعالى فيهم: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ ﴾ [مريم:٥٩].

* وقوم يغارون ممَّا يكرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الايمان(١).

قال ابن قيِّم رحمه الله تعالى، ذاكرًا، أصل الغيرة معرجًا عليها، كما في [روضة المحبين] «وملاك الغيرة وأعلاها ثلاثة أنواع:

- غيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده.
- وغيرته على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه.
- وغيرته على حرمته أنْ يتطلع إليها غيره.

فالغيرة التي يحبها الله ورسوله «دارت على هذه الأنواع الثلاثة» وما

---

(١) انظر: الاستقامة، (٢/ ٢٧٢، ٢٧٣)، ط: دار الحديث، وانظر الفوائد لابن قيم، (ص٣٣)، ط: دار الفكر.

عداها فإمَّا من خدع الشيطان، وإمَّا بلوى من الله كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوج عليها»(١).

وأما أخبار الأمم في الحديث عن الغيرة ينبئك به ابن الجوزي في «أخبار النساء».

ونصه: «الغيرة في خلق الذّكر والأمم تختلف في الغيرة.

فمن الصّقالبة ناسٌ لا يتزوّجون من قربٍ منهم في النّسب ولا الدّار. وإذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفًا عليه.

والمرأة في الهندِ إذا مات زوجها وأرادوا حرقه، جاءت ليحرقوها معه.

والدّيلميّ يخرج من الدّيلم إلى حدود ما بين دار الإسلام والدّيلم، ومعه امرأته وإخوانه وعمّاته فيبيعهنّ صفقةً واحدةً، ويسلّمهنّ إلى المبتاعِ، لا تدمع عينه ولا عينٌ واحدةٍ من عياله.

وأهل طبرستان لا يتزوّج الرّجل الجارية منهنّ حتّى يستبطن بها حولًا محرّمًا ثمّ يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ويتزوّجها، ثمّ يزعمون مع ذلك أنّه يجدها بكرًا، وقد عانقها في إزارٍ واحدٍ سنةً كاملةً وهو لا يستبطن بها، ويحتمل وحشة الاغتراب، وانقطاع الأسباب. وإنّ من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحافٍ واحدٍ يحتجران عن ألّذ الأمور تكرّمًا. وهذا التّكرّم

(١) روضة المحبين، (٣١٤-٣١٥).

عند علوج طبرستان من العجائب»[١].

✍ **وفي محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، قيل**: «كان لهمّام بن مرة بنات لا يزوجهنّ من شدّة الغيرة فاجتمعن يومًا وتشاكين فقالت الصغرى: أنا لَكُنَّ، فقالت لأبيها:

أهمام بن مرّة حنّ قلبي ... إلى ما تحت أثواب الرّجال

فقال: تريدين سراويلًا؟ فقالت:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى حمراء مشرقة القذال

فقال تريدين ناقة؟ فقالت:

أهمّام بن مرة حنّ قلبي ... إلى أير أسدّ به مبالي

فقال: قاتلكن الله وزوّجهن[٢].

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي، (ص٨٤، ٨٥).

(٢) **قلت:** والزواج من حقوق الابن على أبيه، أن يختار لابنه أو لابنته، من بيت هم أهل ديانة وأمانة، وأن يكون صاحب كفاءة، والكفاءة المتفقة عليها بين الفقهاء هي كفاءة الدين، وأما باقي الأمور فهي مما اختلف فيه.

وتصريح البنات لأبيهنَّ إنما كان لسوء فهم الأب، أو لتعمده عدم الفهم، وإعضالهنَّ بحجة الغيرة لا مسوغ له شرعًا ولا عرفًا، فهو بالزواج يغلق باب الشيطان، ويسد باب الشهوة، ويلجم أفواه المغرضين والمتحرشين.

الغيرة في الشرع

أحاديثٌ في الغيرة:

اعلم أنَّ الشرع أعظم من شأن الغيرة ورفع من مقامها، وأعلى من مكانها وجعلها من شيم المؤمنين وخصال المكرمين، كما أنها صفة النبي الأمين ﷺ، وهي من صفات رب العالمين، كما ثبت ذلك في الصحيح الصريح المسند، من حديث المغيرة بن شعبة، قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد، فو الله لأنا أغير منه، والله أغير مني**(١)، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه مدحة من الله، من أجل ذلك وعد

---

(١) انظر: في هذا الخصوص، كتاب تلبيس إبليس على الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٤٠٨).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين، (١/ ٢٦٢) في الحديث إثبات الغيرة لله تعالى، وسبيل أهل السنة والجماعة فيه، وفي غيره من أحاديث الصفات وآيات الصفات أنهم يثبتونها لله سبحانه على الوجه اللائق به، يقولون: إن الله يغار لكن ليست كغيرة المخلوق، وإن الله يفرح ولكن ليس كفرح المخلوق، وإن الله له من الصفات الكاملة ما يليق به، ولا تشبه صفات المخلوقين.

الله الجنة»(١).

✍ **قال الإمام ابن قيم** ﷺ معلقًا، «فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها، وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان، والله سبحانه -مع شدة غيرته -يحب أنْ يعتذر إليه عبده، ويقبل عذر من اعتذر إليه، وأنَّه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه إعذارًا وإنذارًا، وهذا غاية المجد والإحسان، ونهاية الكمال(٢).

ومن تكريم الشرعِ للغيرة أنَّ الرجل الذي يقاتل دفاعًا وغيرة على عرضه؛ إذا مات فهو في منازل الشهداء، فعن سعيد بن زيد ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**»(٣).

والغيرةُ من صفة أهل الإيمانِ الذين يغارون على المحارم، فأعلى الدرجات في الغيرة، أنْ يغار الرجل على المحارم، والغيرة على الزوجة والأولاد، والغيرة على نساء المسلمين، والغيرة على المحرمات أن يقترب

---

(١) رواه البخاري، (٧٤١٦)، ومسلم في صحيحه، (١٤٩٩)، وأحمد في مسنده، (١٨١٦٨)، وأبو داود في سننه، (٤٥٣٢)، والدرامي في سننه، (٢٢٧٣)، وابن شيبة في مصنفه، (٢٧٨٨٤)، بدون زيادة، «ولا شخص أغير من الله الخ»، والطبراني في الكبير، (٩٢٢).

(٢) الجواب الكافي، (ص٦٧).

(٣) رواه أحمد، (١٦٥٢)، وأبو داود في سننه، (٤٧٧٢)، والنسائي في الكبرى (٣٥٤٤).

منها والمقدسات أن تهان أو يتعرض لشيء من كرامتها، والغضب في الشرع محذورٌ قدْ نبَّه عليه، كما أنَّه قد يكون زيغ من الشيطان في بعض الأحيان، لكن إذا كان غضبًا على المحارم فهو ممدوح، وذلك يختلف بحسب الحال والظرف!

وفي كشف الأستار، حدثنا محمَّد بن معمر، ثنا أبو عامر، ثنا أبو مرحوم الأرطباني، ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الغيرة من الإيمان، والمذاء من النفاق**»، قال: قلت: ما المذاء؟ قال: «**الذي لا يغار**»(١).

قال العجلوني، رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا. وفيه: «فقال الرجل من الكوفة لزيد بن أسلم -أحد رجال السند-ما المذاء؟ قال الذي لا يغار على أهله يا عراقي». والمذاء -بالذال المعجمة-كسماء، جمع الرجال والنساء، أو هو الدياثة كالمماذاة فيهما؛ قاله في القاموس. وقال ابن الغرس: الحديث حسن، وروي المماذي، قال ابن الأعرابي: المماذي:

---

(١) كشف الأستار، (١٤٩٠) ورواه الذهبي في ميزان الاعتدال، (٥٠٣٦)، وقال البزار: لا نعلمه بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحدًا يشارك أبا مرحوم عن زيد فيه، وحديث آخر عنده عن زيد.
وقال الهيثمي في، «مجمع الزوائد»، (٧٧٢٥)، «رواه البزار، وفيه أبو مرجوم وثقه النسائي، وغيره، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحكم عليه الشيخ الألباني بالضعف الشديد كما في صحيح الجامع، (٣٤٣٦).

القندع وهو من يقود على أهله(١).

وهذه الغيرة مسؤولية شرعية يجب أن ترسَّخ قيمها وضوابطها في كلِّ بيت مسلم، والمسؤول الأول ربُّ البيت وهو الأب، ومن ثمَّة الزوجة، وذلك يكون بنشر تلك المعالم الأخلاقية في تربية الأولاد، لأنَّها مسؤولية شرعيَّة سوف يسألون عنها أمام الله تعالى؛ فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ، قال: «**ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها، وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(٢).

واعلم أنَّ الذي لا يغار ويتغير قلبه إذا مسّ عرضه بخطر، أو انتهكت حرمته، أو يقر الخبث والحرام في أهله؛ هو رجل في مصطلح الشرع «ديوث!» فيه؛ فعن عمار رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة ديوث**»(٣).

---

(١) وينظر: في تفسيره شعب الإيمان للبيهقي، (١/ ١٣٦) في (الثاني والسبعون من شعب الايمان، الغيرة وترك المذاء).

(٢) صحيح البخاري، (٧١٣٨)، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة (٢٠).

(٣) الحديث رواه معمر بن راشد(٢٠٤٣٧)، ورواه الطيالسي في مسنده، (٦٧٧)، وساقه ابن حجر برواية الطيالسي في المطالب العالية، (١٨٥٦)، وفي إتحاف المهرة لأبي بكر البوصيري، (٤٩٤٩)، قال: «هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة بعض ☜

والديوث: «القواد على أهله، والذي لا يغار على أهله»(١).

وقيل: «الديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء، سمي بذلك؛ لأنه يدث بينهم».(٢)

✍ **ومن غرائب قصص أهل الدياثة**، ما حكاه أبو علي التنوخي، «حدّثنا القاضي أبو القاسم عمر بن حسان بن الحسين: أنّه بلغه عن رجل قليل الغيرة، رديء الدين، كان يجمع بين زوجته، وبين أهل الفساد في منزله.

قال: عشق امرأته، رجل، وكان ينفق عليها في منزله، وأحلفها بحضرته [٩٣]، أنّها لا تطاوع زوجها على الجماع.

قال: وكانا ليلة على شأنهما، في أسفل الدار التي للزوج، فصعدت المرأة إلى السطح هناك، واحتبست، فلما جاءت، خاصمها العشيق، وقال:

لعله فعل بك زوجك كذا.

فقالت: وحلفت، أنّه ما جرى من ذلك شيء.

☜ رواته، لكن المتن له شاهد من حديث ابن عمر، رواه أحمد بن حنبل في مسنده واللفظ له، والنسائي في الصغرى، والحاكم، والبيهقي ولفظه: قال رسول الله ﷺ ثلاثة قد حرم الله -تبارك وتعالى- عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث».

(١) لسان العرب، (٢/ ١٥٠).

(٢) قاله الماوردي، «٤٥٠هـ»، في «أدب الدين والدنيا»، (ص٣٦٦)، ط: التوفيقية.

وسمع الزوج الكلام، فقام يصلّي في السطح، ويصيح: الله أكبر، ليسمع العشيق، ويعلمه، أنّه لم يكن ليصلّي، وهو جنب، حتى يصلح بينه وبين المرأة، بذلك(١).

✍ **وقال بعضهم**: «من كمال المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتُقيل في منزلك(٢).

✍ **وعن النواس بن سمعان الأنصاري** رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيُّها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم**»(٣).

✍ **قال الذهبي** رحمه الله: «فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، (٨/ ٢٣٥).

(٢) الآداب الشرعية، (٢/ ٢٣٢).

(٣) مسند أحمد وإسناده صحيح، (١٧٦٣٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»، (١٩)، وأخرجه الطبري في «التفسير»، (١٨٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»، (٢١٤٢).

أو لأن لها عليه دينًا وهو عاجز أو صداقًا ثقيلًا أو له أطفال صغار، فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيرة له فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم»(١).

✍ **قال ابن قيم** رحمه الله: «أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له(٢).

✍ **قال أبو هلال العسكري**: «والغيرة من أحمد أخلاق الرجال(٣).

واعلم بأنَّ الغيرة من صفات البهائم وهذا من أغرب الأخبار.

✍ **قال ابن حزم**: «ولعمري إن الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة، فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة، وما بعد هذا مصاب(٤).

✍ **ذكر الدينوري** في «المجالسة» بإسناد مقطوع، عن أبي سعيد المدائني، عن وهب بن منبه؛ قال: إذا كان الرجل لا ينكر عمل السوء على أهله جاء طائر يقال له القرقفنة على مشريق بابه، فيمكث هناك أربعين يوما؛ فإن أنكر طار وذهب، وإن لم ينكر مسح بجناحيه على عينيه، فلو رأى الرجال مع امرأته تنكح لم ير ذلك قبيحا، فذلك القنذع الديوث الذي لا ينظر الله إليه.

إبراهيم الحربي يفسره؛ فقال: مشريق الباب: مدخل الشمس فيه،

---

(١) الكبائر، (الكبيرة السابعة والعشرون)، (ص٦٦)، ط: مكتبة دار البيان.
(٢) الجواب الشافي، (ص٦٨).
(٣) الأوائل للعسكري، (ص١٥٦).
(٤) طوق الحمامة، (ص٢٧٩).

والقنذع؛ فهو الذليل الذي لا يغار؛ فقد جمع إلى القبح الذلة»(١)

✍ **وعن عمرو بن ميمون، قال:** «رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قِرَدَة، قد زنت، فرجموها، فرجمتها معهم(٢).

✍ **قال أبو بكر الخوارزمي:** «الفرس يغار على جنسه فتبا للذي لا غيرة له ونكاحه مشوب ونسبه غير طاهر نعوذ بالله(٣).

✍ **وذكر الجاحظ** في «المحاسن والأضداد»، «منه ما حكي عن البهائم: قال شيخ من بني قشير: كنا في نتاج، فامتنع فرس من حجرة، فشددنا عينه، فنزا عليها، فلما فرغ فتحنا العصلة فرأى الحجرة وكانت أمه، فعمد إلى ذكره بأسنانه فقطعه»(٤).

---

(١) المجالسة، رقم [٢٧٢٠]، ومفيد العلوم ومبيد الهموم لأبي بكر الخورازمي، (ص٤٠٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، (٣٨٤٩)، ت البغا، -[(زنت) واقعها أحد القردة. (فرجموها) رموها بالحجارة حتى ماتت وخلاصة ما قاله الشراح في هذا أن المراد أنه شاهد ما صورته زنا ورجم فقد ذكروا أنها كانت نائمة إلى جانب قرد فجاء آخر فغمزها فذهبت معه حتى واقعها ثم رجعت توهم أنها ما زالت إلى جنبه وهذا ربما يحصل بدافع الغريزة وإلا فالحيوان ليس مكلفا ولا يسمى فعله بما يسمى به فعل المكلفين من بني آدم].

(٣) مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبي بكر الخورازمي، (ص٤٠٦).

(٤) (ص٢٦٧).

إجلال النبي ﷺ لمعاني الغيرة، وذكر غيرة الصحابة

لقد تجلَّت مواقف عديدة في السيرة النبوية، والسنَّة المحمدية، تدل على حرص النبي ﷺ على الغيرة، واقرارها ومراعاة المواقف التي تتجلَّى فيها، والأحداث التي قد تنتج عنها؛ كما في حكاية معاذ رضي الله عنه مع تفصيل ذلك في الشروحات -كتب الحديث والسنَّة-، ومنها أمره لزوجاته بالحجاب أثناء دخول ابن مكتوم، فإنَّ ابن أمّ مكتوم استأذن على رسول الله، ﷺ، وعنده امرأتان من نسائه، فقال لهما: «**قوما وأدخلا البيت**» فقالتا: يا رسول الله، هو أعمى، فقال: «**أفعمياوان أنتما؟**»(١)

✍ **قال الحافظ أبو بكر العامري** (ت٥٣٠ه): «فتأملوا -رحمكم الله- تعظيم المصطفى ﷺ، لهذا الأمر وتشديده فيه، مع علمه بنزاهة أزواجه،

---

(١) والحديث رواه أحمد بإسنادٍ ضعيف، (٢٦٥٣٧)، وإسحاق في مسنده، (١٨٤٨)، وأخرجه أبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٧٨)، وقال حسن صحيح، وضعفه الشيخ الألباني والشيخ شعيب في تخريج المسند.
وعن الزهري عن نبهان، حدثه أن أم سلمة حدثته قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «**احتجبا منه**» فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى، لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ قال: « **أفعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه؟** ».

وكمال عفتهنَّ، وسلامة صدروهنَّ، وصحبتهنَّ لكمال النبوة كيف أمرهنَّ بالاحتجاب، لئلا ينظرن إلى ابن أم مكتوم، مع كبر سنه، وعمى بصره، وفقد جماله، وبعده عن الآفة في جميع أحواله، حتى زجرهنَّ عن النظر إليه، تعظيمًا لأمر الله، وحسمًا لمادة الآفة عن البواطن العفيفة أن يبقى في القلب خاطرٌ، لذكرٍ غير محرم لم يؤذن في النظر إليه، موافقًا لقوله تعالى لأزواجه، ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٣] أي لقلوبكنَّ عن خاطر فكر الغير فيها وردًا منه -عليه السلام- أيضًا على ما علم أنه سيحدث في بعض مدعي دينه وسيرته، من دعوى العصمة والأمن من الفتنة التي لا يتحقق الأمن منها مع بقاء طبع البشريَّة، كما قال بعض صالحي السلف، «لو خلت بدجاجة لم آمن نفسي عليها»، وهو معنى قول يوسف -عليه السلام-: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف:٥٣] أي يعصمها من بين النفوس بفضله وحماها بلطفه.....(١).

ومن إجلاله للغيرة، ما حصل في بداية خطبته لأم سلمة، وكانت في بداية الأمر شديدة الغيرة وكيف عالج ذلك بحكمته ﷺ، إلى رأفته بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ حينما كان يذكر أمامها أم المؤمنين خديجة فيصيبها بذلك الغيرة الفطرية. إذ أنَّ الغيرة أمرٌ لا بدَّ منه فهي جبلية في الإنسان، ومع هذا فقد

---

(١) انظر: أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الحظر والآفات، (ص٣٨-٣٩)، ط: دار ابن حزم.

تكلم أهل العلم حول معنى غيرة أم المؤمنين بما لا يبقي فيه شبهة لِكلّ أفَّاك، أو منافقٍ ناعقٍ طاعن طعَّان؛ قال الطبري وغيره من العلماء، «الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك، ولهذا لم يزجر عائشة».

✍ **وقال القاضي عياض** رحمه الله: «عندي أنَّ ذلك جرى من عائشة لصغر سنها، وأول شبيبها، ولعلها لم تكنْ بلغت حينئذٍ، كذا قال. وهذا لا يمنع الإنكار زجرًا وتأديبًا كسائرِ المحرمات(١).

* **ومنها إجلاله** ﷺ لغيرة الفاروق عمر رضي الله عنه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «**رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء، امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك**» فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار!(٢).

* **ومن مراعاة النبي ﷺ وإجلاله لمعنى الغيرة ومفهومها**، ما حكاه الإمام النووي الشافعي في «شرح مسلم»، في سبب تأخير حد الزنا على المرأة التي كانت حبلى من الزنا، ونص الحديث كما عند، «مسلم» في الصحيح من حديث عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه: أن امرأة من جهينة أتت رسول

---

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية، (١/ ٢٤٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، «باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه»، (٣٦٧٩).

الله -ﷺ -وهي حبلى من الزنى، فقالت: يا رسول الله، أصبت حدا فأقمه علي، فدعا نبي الله -ﷺ -وليها، فقال: «**أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني**» ففعل فأمر بها نبي الله -ﷺ -فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله ﷻ؟!**»

✍ **قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم**: «هذا الإحسان له سببان:

أحدهما: الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغيرة ولحوق العار بهم أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها تحذيرا لهم من ذلك.

والثاني: أمر به رحمة لها، إذ قد تابت، وحرض على الإحسان إليها لما في نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذي ونحو ذلك فنهى عن هذا كله»(١)

ومن الأحاديثِ في معرضِ الذكر لا للحصر:

* ما رواه أبو داود في سننه، من حديثِ البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: «بينما أنا أطوف على إبل لي ضلت إذ أقبل ركب، أو فوارس، معهم لواء، فجعل الأعراب يطيفون بي لمنزلتي من النبي -ﷺ -، إذ أتوا قبة، فاستخرجوا منها رجلا فضربوا عنقه، فسألت عنه، فذكروا أنه أعرس بامرأة

(١) شرح صحيح مسلم، (١٦٩٦).

أبيه(١).

* وفي صحيح مسلم، من حديث سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم؟»(٢).

* وفي «الصحيحين» من حديثِ سهل بن سعد رضي الله عنه «أنَّ رجلًا اطلع في جحر في باب النبي ﷺ، وفي يد النبي ﷺ مدرى يحك به رأسه، فلما رآه قال: «**لو أعلم أنَّك تنظرني لطعنتُ به في عينك، إنَّما جعل الإذن من أجلِ البصر**»(٣).

✍ **قال ابن قيم**: «وكذلك من اطلع في بيت قوم من ثقب أو شق في الباب بغير إذنهم؛ فنظر حرمة أو عورة فلهم خذفه وطعنه في عينه، فإن انقلعت عينه فلا ضمان عليهم(٤).

* وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكم والدخول**

---

(١) (٤٤٥٦)، وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٤٥٦٦)، وهو في «مسند أحمد»، (١٨٠٦٨).

(٢) كتاب الإمارة، «باب حرمة نساء المجاهدين، وإثم من خانهم فيهن»، رقم، (١٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٥٩٢٤)، وصحيح مسلم، كتاب الآدب، رقم(٤٠).

(٤) زاد المعاد، (٥/ ٣٦٣).

على النِّساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»(١).

✍ **قال البغوي** رحمه الله: الحمو: جمعه الأحماء، وهم الأصهار من قبل الزوج، والأختان من قبل المرأة، والأصهار تجمع الفريقين أيضًا، وأراد ههنا أخا الزوج، فإنَّه لا يكون محرمًا للمرأة، وإنْ كان أراد أبا الزوج وهو محرم، فكيف بمن ليس بمحرم؟!.

وقوله: «**الحمو الموت**». قال أبو عبيد: يقول: فليمت، ولا يفعلنَّ ذلك، وقال ابن الأعرابي: هذه كلمة تقولها العرب، كما تقول الأسد الموت. أي: لقاؤه مثل الموت، وكما يقولون: السلطان نار.

فمعنى هذا الكلام: إن خلوة الحمو معها أشد خلوة غيره من البعداء(٢).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**» فقام رجل، فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجة، واكتتبت في غزوةِ كذا وكذا، قال: «**ارجع فحج مع امرأتك**»(٣).

✍ **قال الغزالي في الإحياء**: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يسدون الكوى، والثقب في الحيطان؟! لئلا تطلع النسوان إلى الرجال(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح(٥٢٣٢)، ومسلم في كتاب السلام، (٢٠).
(٢) شرح السنة للبغوي، (٩/ ٢٨-٢٧)، ط: المكتب الإسلامي.
(٣) رواه البخاري، في كتاب النكاح، (٥٢٣٣)، ومسلم، في كتاب الحج، (٤٢٤).
(٤) انظر الإحياء، (٢/ ٤٦).

* **ومن الإجلال**[١] فيما نقلته كتب الحديث، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، بإسناده، عن عمرو بن الحارث، أن بكر بن سوادة، حدثه أن عبد الرحمن بن جبير حدثه أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص، حدثه أنَّ نفرًا من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، وهي تحته يومئذ، فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، وقال: لم أرَ إلا خيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قد برأها من ذلك**» ثمَّ قام

---

(١) روي عن الشعبي: أن «وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة، فأجلسه خلف ظهره. وقال: « إنما كانت خطيئة داود النظر».
الحديث ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى»، وشيخ الإسلام في السياسة الشرعية، (ص٣٨٨)، وهو ضعيف جدًا، كما يلاحظ من صيغ التمريض، والشعبي تابعي لم يدرك النبي ﷺ فالخبر إذن مقطوع؛ وانظر السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني رحمه الله، (٣١٣).

✍ **قلت**: ساق ابن حجر الهيتمي في الزواجر، (٢/ ٩)، ط: دار الحديث وقال، «وروي لكن بسند ضعيف كما عبر به بعضهم بل واهٍ كما عبر به شيخ الإسلام العسقلاني»، ثم ساقه بعد ذلك.
وعلى كل فإن منع النبي ﷺ مجيأ هذا الشاب خوفا وحرصًا وغيرة وحياء عليه وعلى من حوله أن يفتن به، وهؤلاء يعرفون بالمردان عند العلماء؛ وقد قال ابن حجر رحمه الله في «الزواجر»، «وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الأنتان؛ لأنهم مستقذرون شرعا».
واعلم يا أخي أن النبي ﷺ رعاية للعفة، وحفاظًا على الغيرة، «أمر بالاستئذان، وأمر بغض البصر، ومنع لمس الجنبية، والخلوة بها، ومنع سفرها بلا محرم، ومنعها من وضع الطيب والخروج خارج البيت وغير ذلك».

رسول الله ﷺ على المنبرِ فقال: «لا يدخلنَّ رجل، بعد يومي هذا، على مغيبةٍ، إلا ومعه رجل أو اثنان(١).

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: «كساني رسول الله -ﷺ- قبطية كثيفة ممَّا أهداها له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي فقال: «**ما لك لم تلبس القبطية؟**» قلتُ: كسوتها امرأتي فقال: «**مرها فلتجعل تحتها غلالة، فإنِّي أخاف أنْ تصف حجم عظامها**»(٢).

* وعن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أنَّ عائشة رضي الله عنها، قالت: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يومًا على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم»(٣).

* وروى الترمذي بإسناده عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، فقالت أم سلمة: فكيف يصنعن النساء بذيولهنَّ؟ قال: «**يرخين شبرًا**»، فقالت: إذا تنكشف أقدامهنَّ، قال: «**فيرخينه ذراعًا، لا يزدن عليه**»(٤).

---

(١) (٢١٧٣).

(٢) قال الشيخ الألباني في جلباب المرأة المسلمة، (ص١٣١)، أخرجه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١/ ٤٤١)، وأحمد، والبيهقي، بسند حسن، وله شاهد من حديث دحية نفسه، أخرجه أبو داود والبيهقي والحاكم، وصححه، وفيه نظر، وقد تكلمنا على الحديث مفصلًا في «الثمر المستطاب»، فأغنى عن الإعادة».

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، «باب أصحاب الحراب في المسجد»، (٤٥٤).

(٤) رواه الترمذي، وقال، « هذا حديث حسن صحيح»، (١٧٣١)، وأحمد في مسنده، ☜

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرأة تطيبت للمسجد فيقبل الله لها صلاة حتى تغتسل منه اغتسالها من الجنابة فاذهبي فاغتسلي**»(١).

(٤٤/ ٢٨٠)، والنسائي في الكبرى، (٩٦٥٧)

(١) رواه أحمد، (٧٩٥٩)، ط: الرسالة، والطيالسي (٢٥٥٧)، وقال الشيخ شعيب إسناد «محتمل للتحسين».

* علق الشيخ أحمد شاكر عليه في تحقيقه للمسند، (٧٩٤٦)، ط: دار الحديث، فقال: «وانظر -أيها الرجل المسلم، وانظري -أيتها المرأة المسلمة -هذا التشديد من رسول الله ﷺ، في خروج المرأة متطيبة تريد المسجد لعبادة ربها: أنها لا تقبل لها صلاة إن لم تغتسل من الطيب كغسل الجنابة، حتى يزول أثر الطيب. انظروا إلى هذا، وإلى ما يفعل نساء عصرنا المتهتكات الفاجرات الداعرات، وهن ينتسبن إلى الإسلام زورًا وكذبا، يساعدهن الرجال الفجار الأجرياء على الله وعلى رسوله وعلى بديهيات الإسلام يزعمون جميعًا أن لا بأس بسفور المرأة، وبخروجها عارية باغية، وباختلاطها بالرجال في الأسواق وأماكن اللهو والفجور، ويجترؤن جميعا فيزعمون أن الإسلام لم يحرم على المرأة الاختلاط، ولم يحرم عليها تولى المناصب العامة، ولم يحرم عليها السفر في البعثات التي يسمونها «علمية»، ويجيزون لها أن تتولى المناصب السياسية. بل انظروا إلى منظر هؤلاء الفواجر في الأسواق والطرقات وقد كشفن عن عوراتهن التي أمر الله ورسوله بسترها. فترى المرأة وقد كشفت عن رأسها متزينة متهتكة، وكشفت عن ثدييها، وعن صدرها وظهرها، وعن إبطيها وما تحت إبطيها، وتلبس الثياب التي لا تستر شيئًا، والتي تشف عما تحتها، وتظهره في أجمل مظهر لها. بل إننا نرى هذه المنكرات في نهار شهر رمضان، لا يستحين، ولا يستحي من استرعاه الله إياهن من الرجال، بل من أشباه الرجال، الدياييث!! ثم قل

✍ **قلت:** والذي أرشد إليه النبي ﷺ هو من كمال المروءة، فقد سئل إياس بن معاوية رحمه الله عن المروءةِ، فقال: «أمَّا حيث تُعرف فالتقوى، وأمَّا حيث لا تعرف فاللّباس(١).

الصديق رضي الله عنه :

روى الخرائطي حدثنا علي بن الأعرابي، حدثنا أبو غسان النّهدي، قال: «مرَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريق من طرق المدينة؛ فإذا جارية تطحن برحاها، وهي تقول:

وهويتـه مـن قبـل قطـع تمـائمي ... مُتمايسًـا مثـل القضـيب النـاعم
وكـأن نـور البـدر سـنة وجهـه ... ينمـي ويصـعد في ذؤابـة هاشـم(٢)

فدق عليها الباب، فخرجت إليه، فقال: ويلك! أحرة أنت أم مملوكة؟ فقالت: بل مملوكة يا خليفة رسول الله ﷺ قال: فمن هويت؟ فبكت ثم قالت: بحق الله إلا انصرفت عني قال: لا أريم أو تعلميني فقالت:

وأنـا التـي لعِـبَ الغـرامُ بقلبهـا ... فبكـت لِحـبّ محمَّـد بـن القاسـم

فصار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه وبعث بها إلى محمد بن

بعد ذلك: أهؤلاء -رجال ونساء -مسلمون؟!».

(١) ذكره وكيع في أخبار القضاة، (١/ ٣٥٣)، والمزي في تهذيب الكمال، (٣/ ٤١٣).

(٢) (تمائمي)، ما يعلق في العنق لدفع العين، متماسيًا، (ماس، يعني تبختر، واختال)، ينمي، (يزيد)، (ذؤابة)، فلان ذؤابة قومه شريفهم.

القاسم بن جعفر بن أبي طالب وقال: «هؤلاء فتن الرجال، وكم قد مات بهن من كريم، وعطب عليهنَّ من سليم!»(١).

عمر الفاروق رضي الله عنه :

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أنَّ عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»(٢).

* وروى البيهقي في، «الكبرى»، عن عبد الله بن أبي سلمة: «أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كسا النَّاس القباطي، ثمَّ قال: لا تَدَّرِعها نساؤكم فقال رجل: يا أمير المؤمنين قد ألبستها امرأتي فأقبلت في البيت وأدبرت فلم أره يشف. فقال عمر: إن لم يكن يشف فإنه يصف»(٣)

* وروى ابن شيبة في «مصنفه»، عن أبي يزيد المزني، قال: كان عمر ينهى النساء عن لبس القباطي، فقالوا: إنه لا يشف، فقال: إلا يشف فإنه يصف.(٤)

---

(١) اعتلال القلوب، رقم (٥٢١)، وانظر: ديوان الصبابة، (٢٠٥)، وعنه ابن قيم في روضة المحبين، (٣٨٠).

(٢) رواه البخاري، (٩٠٠).

(٣) (٢/ ٢٣٤)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في «جلباب المرأة المسلمة»، (ص١٢٨).

(٤) كتاب اللباس، « لباس القباطي للنساء. » (٢٥٢٨٨).

* وفي كتاب «السياسة الشرعية»، أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما كان يعسُ بالمدينة فسمع امرأة تتغنى بأبياتٍ تقول فيها:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فدعا به، فوجده شابًا حسنًا، فحلق رأسه فازداد جمالًا، فنفاه إلى البصرة؟ لئلا تفتق به النِّساء. وروي عنه: أنَّه بلغه أنَّ رجلًا يجلس إليه الصبيان فنهى عن مجالسته.(١)

* وفي «روضة المحبين»، «أنه رفع إلى عمر رضي الله عنه رجل قد قتل يهوديًا؟ فسأله عن قصته، فقال: إن فلانًا خرج غازيًا وأوصاني بامرأته؛ فبلغني أنَّ يهوديًا يختلف إليها، فكمنت له حتى جاء فجعل ينشد ويقول:

وأبيض غرة الإسلام مني ... خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت على ترائبها ويمسي ... على جرداء لاحقة الحزام

كأن مواضع الربلات منها ... فئام ينهضون إلى فئام

فقمت إليه فقتلته فأهدر عمر دمه.(٢)

ورفع إليه رضي الله عنه «رجل قد قتل امرأته ومعها رجل آخر؟! فقال: أولياء المرأة هذا قتل صاحبتنا، وقال: أولياء الرجل إنَّه قد قتل صاحبنا! فقال عمر

---

(١) انظر كتاب السياسة الشرعية بتعليق العلامة ابن عثيمين، (ص٣٩٠)، ط: مدار الوطن للنشر، وفي الحواشي نسب إلى «طبقات ابن سعد، (٣/ ٢٨٥)، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة، (٣/ ٥٧٩) سنده صحيح».

(٢) (ص٣٠٢)، وعيون الأخبار، (٤/ ١١٦).

ﷺ، «ما يقول هؤلاء؟ قال ضرب الآخر فخذي امرأته بالسيف، فإنْ كان بينهما أحد فقد قتلته. فقال لهم عمر ما يقول؟ فقالوا ضرب بسيفه فقطع فخذي المرأة فأصاب وسط الرجل فقطعه باثنتين. فقال عمر ﷺ «إنَّ عادوا فعد» ذكره سعيد بن منصور في سننه.

✍ **قال الإمام ابن القيم** في «روضة المحبين» معلقًا: «وأخذ بهذا جماعة من الفقهاء منهم الإمام أحمد وأصحابه رحمهم الله تعالى؛ قالوا لو وجد رجلًا يزني بامرأته فقتلهما فلا قصاص عليه ولا ضمان إلا أنْ تكون المرأة مكرهة فعليه القصاص بقتلها ولكن لا يقبل قول الزوج إلا بتصديق الولي أو بينة»(١).

✍ **وفي اعتلالِ القلوب للخرائطي بإسناده،** عن عبيد بن عمير: «أنَّ رجلًا، أضاف إنسانًا من هذيل، فذهبت جارية لهم تحتطب فأرادها عن نفسها، فرمته بفهر فقتلته، فرفع ذلك إلى عمر ﷺ، فقال: «ذلك قتيل الله، لا يودى أبدًا»(٢).

غيرة أمير المؤمنين عثمان ﷺ :

* وفي: «تاريخ المدينة لابن شبة»، بإسنادهِ، عن ابن جريج مولى أم حبيبة قال: «كنت مع عثمان ﷺ في الدار. فما شعرت وقد خرج محمد بن أبي بكر ونحن نقول: هم في الصلح، إذا بالنَّاس قد دخلوا من الخوخة وتدلوا

---

(١) روضة المحبين، (٣٠٠-٣٠١).
(٢) (ص٩٩)، رقم، (١٩١).

بأمراس الحبال من سور الدار ومعهم السيوف، فرميت بسيفي وجلست عليه، وسمعت صياحهم، فإني لأنظر إلى مصحف في يد عثمان ﷺ، إلى حمرة أديمه، ونشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها.

فقال لها عثمان ﷺ: «خذي خمارك فلعمري لدخولهم علي أعظم من حرمة شعرك»، وأهوى الرجل لعثمان بالسيف، فاتقاه بيده، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه وخرجوا يكبرون.(١)

غيرة أمير المؤمنين علي ﷺ :

* وفي مسند «أحمد» عن علي ﷺ كان يقول، «أما تغارون أن تخرج نساؤكم؟».

قال هناد في حديثه: «ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج»(٢).

* وممَّا ينسب إليه ﷺ، أنَّه دخل على فاطمة ﷺ ورآها تستاك فقال في ذلك:

---

(١) (٤٠٠/ ١٣٠٠)، والأثر ضعيف؟ لضعف ابن جريج، وفيه تصحيف، وعيسى بن يزيد مقبول.

(٢) انظر: مسند أحمد، (١١١٨)، وإسناده ضعيف لضعف شريك.
قال صاحب الفتح الرباني، (١٧/ ٣٠٣)، (العلوج جمع علج بكسر أوله وسكون ثانيه، وهو الرجل القوى الضخم وقال، لم أقف على هذا الأثر لغير عبد الله بن الامام أحمد)، وذكره الغزالي في الإحياء عن الحسن، (٢/ ٤٦).

حظيت يا عود الأراكِ بثغرها ... أما خفت يا عود الأراك أراكا
لو كنت من أهل القتال قتلتك ... ما فاز مني يا سِواكُ سِواكا

✍ **وقال** رضي الله عنه عندما قُتل عامله بالأنبار مستصرخًا بحرقة القوم أن يلبوا النداء، وأن تغار قلوبهم وتثأر لتلك الدماء.

فقال: «يا عجبًا! من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقّكم! فقبحا لكم وترحًا حين صرتم غرضًا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون. إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلتم: حمارّة القيظ، أمهلنا حتى ينسلخ الحرّ، وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلتم:

أمهلنا حتى ينسلخ الشتاء هذا أوان قرّ؛ كلّ هذا فرارا من الحرّ والقرّ، فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال! أحلام الأطفال وعقول ربّات الحجال؛ أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! هل منهم أحد أشدّ لها مراسا وأطول تجربة منّي؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين فها أنا الآن قد نيّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.[1]

📋 **غيرة معاذ** رضي الله عنه :

* وعن علقمة: «أنّ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- كان يأكل تفّاحةً ومعه امرأته

(١) عيون الأخبار، (٢/ ٢٥٧)، واليوم الكفار يجدون في باطلهم وينشرون المحرمات والمنكرات وشباب المسلمين جلوسًا لا يحركون شيئًا، فإلى الله نشكو غربة الدين، وضعف المسلمين.

فدخل علها غلامٌ، فناولته أمرأته تفّاحةً قد أكلت منها فأوجعها ضربًا»(١).

أبو هريرة رضي الله عنه :

* وعن أبي هريرة -رضي الله عنه -: أنه لقي امرأة، فوجد منها ريح إعصار طيبة، فقال لها أبو هريرة: المسجد تريدين؟ قالت: نعم. قال: وله تطيبت؟ قالت: نعم، قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرأة تطيبت للمسجد فيقبل الله لها صلاة حتى تغتسل منه اغتسالها من الجنابة**» فاذهبي فاغتسلي(٢) .

حديث موقوف عن ابن مسعود رضي الله عنه :

* روى الثوري عن حماد بن إبراهيم عن عبد الله قال: «إنَّ الله عز وجل ليغار للمسلم فليغر»(٣).

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي، (ص٨٤)، واعتلال القلوب للخرائطي، (٧٤٣)، وعنه ابن قيم في روضة المحبين، (ص٢٩٩).

(٢) رواه أحمد، (٧٩٥٩)، ط: الرسالة، والطيالسي (٢٥٥٧)، وقال الشيخ شعيب إسناد «محتمل للتحسين».

(٣) ذكره ابن قيم بهذا اللفظ، في «الجواب الشافي»، وفي التنوير بشرح الجامع الصغير، (٣/ ٤٠٤)، قال: «أي لأجله وتقدم تفسير الغيرة أنها الحمية والأنفة: أي بين متعلقها لا أنه بين معناها في حقه تعالى، يجيء فيها القولان: التسليم والتفويض أو التأويل بالحمل على المجاز فيراد بها الكراهة لأنه منه لازم الغيرة، وقد فسرت غيرته تعالى في الحديث الآتي بأنها تعلق بإتيان المؤمن ما حرم عليه. (فليغر) فليكره ما حرم الله عليه ويتجنبه ويغار على نفسه أن يراه مولاه عاصيًا له. وضعفه الشيخ الألباني، في ضعيف الجامع (١٧٤٥).

غيرة سعد بن عبادة:

* وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء، أنَّ «سعد كان يقول: اللهم ارزقني مالًا، فلا تصلح الفعال إلا بالمال» أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ [النور:٤].

قال سعد سيد الأنصار: هكذا أنزلت يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ: «**يا معشر الأنصار! ألا تسمعون إلى ما يقول سيدكم؟**»

قالوا: لا تلمه، فإنه غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرًا، ولا طلق امرأة قط فاجترأ أحد يتزوجها.

فقال سعد: يا رسول الله! والله لأعلم أنها حق، وأنها من الله، ولكني قد تعجبت أن لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فلا آتي بهم، حتى يقضي حاجته... الحديث(١).

غيرة ابن عمرو رضي الله عنهما:

* وذكر أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي، في «أخبار النساء»، عن ابنِ أبي مليكة: أنّ ابن عمرو سمع امرأته تكلّم امرأةً من وراءِ جدارٍ، بينها وبينها قرابةً

---

(١) (١/ ٢٧٥)والحديث، أخرجه أحمد (١/ ٢٣٨)، والطيالسي (١/ ٣١٩)، والطبري، (١٨/ ٨٢) وعباد بن منصور ضعيف، وانظر حواشي السير، في ترجمة، «سعد بن عبادة رضي الله عنه».

لا يعلمها ابن عمرو، قال: فجمع لها جرائد ثمّ أتى فضربها بها.(١)

غيرة بلال ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

* وفي صحيح مسلم، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل**».

فقال ابن لعبد الله بن عمر: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا. قال فزبره ابن عمر وقال: «أقول: قال رسول الله ﷺ. وتقول: لا ندعهن!(٢)

وقوله، «ابن لعبد الله بن عمر» جاء به مصرح في روايةٍ أخرى، أنَّه بلال بن عبد الله رضي الله عنهما، وهذا المنع ليس معارضةً للشرع، ولكن خوفًا وغيرة، والله أعلم.

غيرة شاب مسلم:

* وفي صحيح «مسلم»، بإسنادهِ إلى مالك بن أنس، عن صيفي -مولى ابن أفلح -أخبرني أبو السائب، مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكًا في عراجين في ناحيةِ البيت، فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها، فأشار إلي أنْ اجلس فجلست، فلمَّا انصرف أشار إلى بيتٍ في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم، قال: كان فيه فتى منَّا حديثُ عهدٍ بعرس، قال:

---

(١) وانظر: أيضًا روضة المحبين، (ص٢٩٩)، واعتلال القلوب للخرائطي، رقم (٧٤٢).

(٢) صحيح مسلم، (١٣٥).

فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوما، فقال: له رسول الله ﷺ «**خذ عليك سلاحك، فإنِّي أخشى عليك قريظة**»، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به -وأصابته غيرة-[(١)]، فقالت له: اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحيةٍ عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى، قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له وقلنا ادع الله يحييه لنا فقال: «**استغفروا لصاحبكم**» ثم قال: «**إنَّ بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئًا، فآذنوه ثلاثة أيام، فإنْ بدًا لكم بعد ذلك، فاقتلوه، فإنَّما هو شيطان**»[(٢)].

«حديث أم عطية، ومفهوم السلف له»:

✍ **عن أم عطية** رضي الله عنها قالت: «نُهينا عن اتِّبَاع الجنائز، ولم يُعزم

---

(١) يقول الشيخ الألباني، كما جاء ذلك مذكورًا في كتاب «موسوعة الألباني في العقيدة»، صنعة الشيخ شادي آل نعمان، (٨/ ٨٠)، «أخذته الغيرة الله أكبر! اليوم يخرجن سافرات ومتبرجات في الأزقة وبخاصة الرجال والشباب ولا حراك ولا غيرة ولا إحساس، هذا مجرد ما رآها واقفة على باب الدار فأخذها ليطعنها بالسهام التي كانت معه أو الحربة».

(٢) صحيح مسلم، «كتاب السلام»، «باب قتل الحيات وغيرها»، (٢٢٣٦).

علينا»[١].

✍ **قال ابن حبيب المالكي**: ويكره خروج النَّساء في الجنائز وإنْ كنَّ غير نوائح ولا بواكي في جنائز أهل الخاصة من ذوي القرابة، وغيرهم قالوا: وينبغي للإمامِ أنْ يمنعهنَّ من ذلك.

وقال: وكان الحسنُ يطردهن، فإذا لم يرجعنَ لم يرجع؟ ويقول لا ندع حقًّا لباطل.[٢]

✍ **وكان مسروق**: يحثي في وجوههن التراب ويطردهن، فإن رجعن وإلَّا رجع.[٣]

✍ **وقال النخعي**: كانوا إذا خرجوا بالجنائز أغلقوا الأبواب على النساء.

✍ **وقال ابن عمر** -رضي الله عنهما-: ليس للنساء في الجنائز نصيب.

✍ **وقال بعض متأخري المالكية**: الصواب اليوم الأخذ بقول ابن حبيب لأن خروجهن يؤدي إلى فتنة وفساد كبير فينبغي للإمام أن يمنعهن من ذلك.[٤]

---

(١) صحيح البخاري، باب اتباع النساء الجنائز، (١٢٧٨)، ومسلم، «باب نهي النساء عن اتباع الجنائز»،(٩٣٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٤٥٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٨٤)، وعبد الرزاق (٣/ ٤٥٧).

(٤) انظر كتاب الإعلام بفوائد عمدة أحكام لابن الملقن، [٤/ ٤٦٥].

وهذا الفعل الحاصل منهم لوجوه والله أعلم:

- قد يكون مقصدهم هو امتثال أمر النَّبي ﷺ في النهي، سواءً أريد به النَّهي أو الحرمة، وسواء كان مقيدًا بكافة النِّساء كما هو الظاهر من النَّص، أو التفريق بين الشابة وغيرها كما هو قولُ بعض المذاهب كمذهبِ مالكٍ وأهل المدينة.

- أو خوفًا من فتنهنَّ، وغيرةً عليهنَّ.

- أو لضعف قلوبهنَّ وعدم تحملهنَّ فمراعاةً لهنَّ وسدةً للذريعةِ من حصولِ مخالفةٍ شرعيَّة، «كالاختلاط، والنياحة، وغيرها من المخالفات قالوا بمنعهنَّ، والله أعلم.

✍ **قال الإمام ابن حزم** رحمه الله تعالى: «الغيرة خلقٌ فاضل متركب من النَّجدة والعدل؟ لأنَّ من عدل كره أن يتعدى إلى حرمة غيره، وأنْ يتعدى غيره على حرمته، ومن كانت النَّجدة له طبعًا حدثت فيه عزة، ومن العزة الأنفة من الاهتضام(١).

رسالةٌ من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **:**

* ذكر القرطبي في «تفسير» سورة الأحزاب، و«دخل نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق، فقالت عائشة: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعينه».

---

(١) رسائل ابن حزم، (١/ ٣٧٤).

* و«أدخلت امرأة عروس على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر، فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة «النور» امرأة تلبس هذا».

* وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى، بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد عن أمه وأخته أنهما دخلتا على عائشة يوم التروية فسألتها امرأة: أيحل لي أن أعطي وجهي وأنا محرمة؟ فرفعت خمارها عن صدرها حتى جعلته فوق رأسها»(١).

«حديث في الباب»:

وممَّا يذكر في هذا الباب، حديث رواه الشيخان بإسنادهما عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة -رضي الله عنها-، «أنَّ قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثمَّ قامَ فاختطب، فقال: «**أيُّها الناس، إنَّما أهلك الذين قبلكم، أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(٢).

فانظر إلى غيرتهم وخوفهم على امرأةٍ منهم مِن أنْ يقطع النَّبي ﷺ يدها، ومع ذلك لم يحملهم هذا الموقف على معارضةِ حكم الشرع، أو رفض فعل

(١) الطبقات الكبرى، (١٠/ ٤٩٤).
(٢) صحيح البخاري، (٣٤٧٥)، وصحيح مسلم، (١٦٨٧).

النبي ﷺ، كما كان يحصل ذلك من قبل أهل النفاقِ الذين يعارضون الشرع وحكم الله وحكم رسوله بمثل هذه المواقف، بل حملتهم الغيرة أن يبحثوا عمَّن يكلم النبي ﷺ في أمرها، فلم يجدوا إلا الحب ابن الحب، «أسامة بن زيد» رضي الله عنهما، ولكن هيهات! أنْ يرفع الأمر للنَّبي ﷺ ويترك الأمر بدون حكم الله[1] وذلك حتى يستوي الناس في حكم الشرع، الشريف والوضيع، والغني والفقير، وهذا أصل السياسية الشرعيَّة الناجحة، وذلك بأنْ يطبق الحكم بين النَّاس بما أنزل الله دون تملقٍ أو تفلت!

---

(١) روى مالك في «الموطأ»، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، أن الزبير بن العوام، لقي رجلا قد أخذ سارقا. وهو يريد أن يذهب به إلى السلطان. فشفع له الزبير ليرسله. فقال: لا حتى أبلغ به السلطان. فقال الزبير: «إذا بلغت به السلطان فلعن الله الشافع والمشفع».

قال الحافظ في الفتح، (١٢/ ٨٧)، «وهو منقطع مع وقفه، وهو عند ابن شيبة بسندٍ عن الزبير موقوفا، وبسند آخر حسن عن علي نحوه كذلك»، وروي مرفوعا كما رواه الطبراني في، «الأوسط»، (٢٢٨٤)، والدارقطني، (٣/ ٢٠٥).

وروى أبو داود في «سننه»، «باب من سرق من حرز»، (٤٣٩٤)، «عن صفوان ابن أمية، قال: كنت نائما في المسجد علي خميصة لي ثمن ثلاثين درهما، فجاء رجل فاختلسها مني، فأخذ الرجل، فأتي به النبي ﷺ، فأمر به ليقطع، قال: فأتيته، فقلت: أتقطعه من أجل ثلاثين درهما، أنا أبيعه وأنسئه ثمنها؟ قال: «**فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به**».

ورواه أحمد في مسنده مكررا» (١٥٣٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٣٢٣)، مكررًا، وابن ماجه، (٢٥٩٥).

صور وأخبار عن الغيرة:

✍ **قال الإمام ابن قيم** في «روضة المحبين»، في معرض عجائب الغيرة «وقد يغار المحبُّ على محبوبه من نفسه، وهذا من أعجب الغيرة! وله أسباب منها: خشية أن يكون مفتاحًا لغيره؛ كما ذكر أن الحسن بن هانئ وعلي ابن عبد الله الجعفري اجتمعا فتناشدا فأنشد الحسن:

ولمَّا بدا لي أنَّها لا تودني ... وأنَّ هواها ليس عني بمنجلي
تمنيتُ أنْ تبلى بغيري لعلَّها ... تذوقُ حرارات الهوى فترق لي

✍ **فأنشده علي:**

ربما سرني صدودوك عنِّي ... في طلابيك وامتناعك مني
حذرًا أنْ أكونَ مفتاح غيري ... فإذا ما خلوت كنت التمني

* وكان بعضهم يمتنع من وصف محبوبه وذكر محاسنها؟ خشيةَ تعريضه لحب غيره له، **كما قال: علي بن عبسي الرافقي:**

ولست بواصف أبدا خليلًا ... أعرضه لأهواء الرجال
وما بالي أشوق قلب غيري ... ودون وصاله ستر الحجال.(١)

ويُحكى أنَّ أعرابيًا في الجاهليَّة زفت إليه عروسه على فرسٍ، فقام وعقر تلك الفرس التي ركبت العروس!

فتعجب الجميع من حوله وسألوه عن سرِّ عملهِ فقال لهم: «خشيتُ أنْ

---

(١) روضة المحبين، (ص٣١٢، ٣١٣).

يركبَ السائسُ مكانَ جلوسِ زوجتي ولا يزالُ مكانها دافئًا!».

✍ **وصدق حسان بن ثابت** رضي الله عنه **إذ قال:**

أصـــون عرضـــي بمـــالي لا أدنســـه ... لا بـارك الله بعـد العـرض في المـال
أحتـــال للمـــال إن أودى فأكســـبه ... ولست للعرض إن أودى بمحتال(١)

* ويحكى أنَّ النابغة الشاعر العربي مرت به «امرأة النعمان» وسقط غطاءُ وجهها، فما كان منها إلا أن سترت وجهها بذراعيها، وانحنت على الأرضِ ترفع النصيف بيدها الأخرى، فقال في ذلك شعرًا منه:

سَـقَطَ النَّصِـيفُ وَلَـمْ تُـرِدْ إِسْـقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْـــهُ، وَاتَّقَتْنَـــا بِالْيَـــدِ(٢)

* وتزوّج عبد الله بن يزيد الحنفي امرأةً حسناء، وكان رجلًا ثقيلًا جسيمًا ظريفًا، فأحبّها حبًّا شديدًا، وكان من أشدّ النّاس غيرةً. فدعاه حبّه لها، وشدّة غيرتها عليها، أن خرج بها إلى بعض البوادي فابتنى لها قصرًا وسكن به وأقام معها مدّةً.(٣)

✍ **وقيل عن امرؤ القيس** أنَّه غيورًا شديد الغيرة، فإذا ولدت له بنت وأدها، فلمّا رأى ذلك نساؤه غيّبن أولادهنّ في أحياء العرب، وبلغه ذلك

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين البلقيني، (١/ ١٨٠).
(٢) انظر، «البيت»، في تفسير ابن كثير، (١/ ١٦٠) وتفسير القرطبي، (١/ ١٤٠)، ط: التوفيقية.
(٣) أخبار النساء، (ص ١٢٠).

فتتبّعهنّ حتّى قتلهنّ»(١)

* وفي سير «أعلام النبلاء» عن الأحنفِ بن قيسٍ رحمه الله، كان يقول: «جنِّبوا مجالسنا ذكر النِّساء والطعام، إنِّي أبغضُ الرجلَ يكون وصافًا لفرجهِ وبطنه»(٢).

✍ **قلت:** وهذا من كمال المروءة ومن حسن الأدب. ألا يتكلم الرجل بما يتعلق بمثل هذه الأمور وأوكد منه إذا كان ذلك الكلام أمام المحارم والأصهار؛ كما قال النووي في «الأذكار»، واعلم أنَّه يستحب للزوج ألا يخاطب أحدًا من أقارب زوجته، بلفظ فيه ذكر جماع النساء، أو تقبيلهن، أو معانقتهن، أو غير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن، أو ما يتضمن ذلك أو يستدل به عليه أو يفهم منه.

ثم قال: رُوينا في «صحيحي البخاري ومسلم» عن علي رضي الله عنه قال: «كنت رجلًا مذاء فاستحييت أنْ أسألَ رسول الله (ﷺ) لمكان ابنته منِّي، فأمرتُ المقداد فسأله (٣).

* وحكى أبو الأزهر أنَّ ابن عائشة، «رأى رجلًا يكلم امرأة في طريقها، فقال له: إنْ كانت حرمتك إنَّه لقبيح بك أن تكلمها بين الناس، وإنْ لم تكن

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، (١/ ١٢٠).

(٢) (٤/ ٩٤)، ط: الرسالة، وينظر، في كتاب «أسرار الحكماء»، لياقوت المستعصمي، ط: دار البشائر فقد زاد فيه عبارة أخرى.

(٣) الأذكار، (ص٢٨٥)، ط: دار الفكر.

حرمتك فهو أقبح، ثم ولَّى عنه وجلسَ للنَّاس يحدثهم»(١).

* **قال السيوطي** رحمه الله عن أسباب الكناية في القرآن وذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣].

فكنَّى بالنَّعجة عن المرأة، كعادة العرب في ذلك لأن ترك التصريح بذكر النِّساء أجمل منه، ولهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها، إلا مريم قال السهيلي وإنما ذكرت مريم باسمها على خلافِ عادة الفصحاء؛ لنكتةٍ وهو أنَّ الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملإ، ولا يبتذلون أسماءهنَّ بل يكنون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك». (٢)

* ولما كان العلامة الكاساني في حلب طلبت منه زوجته الفقيهة فاطمة السمرقندي الرجوع إلى بلاده، فلمَّا همَّ بذلك استدعاه الملك العادل نور الدين، وسأله أن يقيم في حلب، فعرَّفه أنه لا يقدر على مخالفة زوجته، إذ هي بنت شيخه، فأرسل الملك إلى فاطمة خادمًا بحيث لا تحتجب منه، ويخاطبها عن الملك في ذلك، فلم تأذن للخادم، وأرسلت إلى زوجها تقول له: «أبَعُدَ عهدك بالفقه إلى هذا الحدَّ؟ أما تعلم أنه لا يحل أن ينظر إليَّ هذا الخادم؟ وأي فرق بينه وبين الرجال في عدم جواز النظر؟ فأرسل إليها الملك امرأة لتكلمها في هذا»(٣).

---

(١) ذكرها الماوردي في الأحكام السلطانيَّة، (ص٤٢٠)، ط: التوفيقية.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ١٥٩)، ط: التوفيقية.

(٣) أدلة الحجاب، (ص١١٢)، عن (الجواهر المضيئة)، وذكره في رؤية دينية في ضوء ☜

✍ **وقال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي**: «كان لرجل من الأعرابِ ابنة، وكان له غلام فراودها عن نفسها فوعدته الليل وأعدت له شفرة وحدتها، فلمَّا جاءها للميعاد فجبته، فخرج يعوي فسمعه مولاه، فقال: من فعل بك؟ قال ابنتك! فدخل عليها، فقال: ما صنعت بهذا الغلام، فقالت: يا أبتِ إنَّ العبد «من نوكه يشرب من سقاءٍ لم يوكه» ومن ورد غير مائه، صدر بمثل دائه. فقال: لها لا شللًا»(١).

* وذكر الذهبي في «سيره»، في ترجمة، «أسد الدين شيركوه» صاحب حمص رحمه الله، أنَّه كان: «بطلًا شجاعًا مهيبًا، وكانت بلاده نظيفة من الخمور، ومنع النَّساء من الخروجِ من أبواب حمص جملة، ودام ذلك خوفًا من أن ينزح بهنَّ رجالهنّ لعسفه، وكان يديم الصلوات، ولا يحب لهوًا، وكان ذا رأي ودهاء وشكلٍ مليح وجلالة، كانت الملوك تداريه ويخافونه»(٢).

* وذكر ابن الأثير، في «الكامل» في ذكر «هرمز بن أنوشروان»، «ومن محاسن السير ما حكي عنه -يعني الملك هرمز- أنه لما فرغ من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الأطراف، فأكلوا، ثم قال لهم: هل رأيتم في هذه الدار عيبا؟ فكلهم قال: لا عيب فيها. فقام رجل وقال: فيها ثلاثة عيوب فاحشة، أحدها: أن الناس

☜ العصر، (ص١٤).

(١) الأذكياء، (ص٢٢٦)، ط: مصطفى الباز.

(٢) سير أعلام النبلاء(٢٣/ ٤٤)، ط: الرسالة.

يجعلون دورهم في الدنيا، وأنت جعلت الدنيا في دارك، فقد أفرطت في توسيع صحونها وبيوتها، فتتمكن الشمس في الصيف والسموم، فيؤذي ذلك أهلها، ويكثر فيها في الشتاء البرد.

والثاني: أنَّ الملوك يتوصلون في البناء على الأنهار لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر إلى المياه، ويترطب الهواء، وتضيء أبصارهم، وأنت قد تركت دجلة وبنيتها في القفر.

والثالث: أنك جعلت حجرة النساء مما يلي الشمال من مساكن الرجال، وهو أدوم هبوبًا، فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النَّساء وريح طيبهنَّ، وهذا ما تمنعه الغيرة والحميَّة.

فقال هرمز: أمَّا سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر، وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران.

وأما مجاورة الماء فكنت عند أبي وهو يشرف على دجلة، فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها إليه، وأبي يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوه، فإلى أن لحقوهم غرق جميعهم، فجعلت في نفسي أنني لا أجاور سلطانا هو أقوى مني.

وأما عمل حجرة النساء في جهة الشمال، فقصدنا به أن الشمال أرق هواء، وأقل وخامة، والنساء يلازمن البيوت، فعمل لذلك.

وأما الغيرة فإنَّ الرجال لا يخلون بالنَّساء، وكلُّ من يدخل هذه الدار،

إنَّما هو مملوك وعبد لقيم(١).

✍ **وذكر أبو المظفر بن الجوزي**: حُكي أنَّ رجلًا كان له عشر بنات أبكار، فقال لهنَّ: اخرجن -يعني لما احترقت العقيبة- فقلن: والله لا نخرج!؟ الحريق أهون من الفضيحة، فاحترقن في الدار(٢).

* ويذكر «أنَّ امرأة من السلفِ كانتْ تطوفُ وحدها في البيت الحرام، فلمَّا رآها أحد الفسقة جاء إليها وصار يطوف إلى جانبها ويعاكسها ويتكلم معها وهي لا تصغي إليه، فلمَّا كانت في اليوم التالي، قالت: لزوجها (أبو الأسود الدؤلي) «هلمّ فطف؟» معي حتى تريني المناسك، فلمَّا رآها ذلك الفاجر تطوف ومحرمها معها ابتعدَ عنها فقالت:

تعدو الذئاب عـلى مـن لا كـلاب لـه ... وتتقي حرمة المستأسد الضاري.(٣)

✍ **قال الشيخ ابن جبرين** ﷾: «استشهدت بهذا البيت فتقول: إنَّه لما رآها خالية جاء إليها وأخذ يمازحها، فلمَّا رآها وهي مع محرم ابتعد عنها، ومثلت ذلك بمن عنده غنم وكلاب ضارية تحميه من الذئاب، فالذئاب إنما تعدو على الأغنام التي ليس عندها كلاب تحميها، وأمَّا إذا كان عندها كلب مستأسدٍ ضاري فإنَّه يذودُ تلك الذئاب ويبعدها ويحميها، فهكذا مَثَّلت هذا

---

(١) وللقصة تتمة، (١/ ٤٢٧).

(٢) ذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام، في أحداث عام(٦٤٣)، وعلق عليها قائلًا، «هذه حكاية منكرة، وابن الجوزي حاطب ليل وصاحب غرائب».

(٣) ذكرت الأبيات في تاريخ الطبري، دون القصة؛ (٧/ ٦٤٠).

المثل»[١].

✍ **قلت:** وقد صدق الإمام القحطاني الأندلسي المالكي ﷺ في نونيته، إذ قال:

إنّ الرجـــال النـــاظرين إلى النَّســـا ... مثـــل الســـباع تطـــوف باللحمـــان
إن لم تصـــن تلـــك اللحـــوم أســـود ... أكلـــت بـــلا عـــوض ولا أثمـــان[٢]

وممَّا يذكر أنَّ الملك «سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي»، كان غيورًا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار، فإذا كبر أحدهم منعه، وكان لا يحب سفك الدماء، ولا أخذ الأموال على شح فيه وجبن»[٣].

* وكان الحارث بن خالد بن هشام المخزمي عاشقًا لعائشة بنت طلحة، وله فيها أشعارٌ أفرد لها ابن المرزُبان كتابًا فلمَّا قتل عنها مصعب بن الزُّبير قيل للحارث: ما يمنعك الآن منها؟ قال: والله لا يتحدث رجالات قريش: أنَّ تشبيبي بها كان لريبةٍ ولشيءٍ منَ الباطل»[٤].

* ومنهم المُقْتَدِي بأَمْر الله عبد الله بن محمد بن القائم بن المقتدر، أبو

---

(١) رسالة حقيقة الحِجاب والغيرة على الأعراض، (ص١٠).
ولبعضهم:
حُـورٌ حرائـر مـا هَمَمْـنَ بِريبـةٍ ... كَظِبَـاء مَكَّـة صـيدهنَّ حـرامُ

(٢) بيت، رقم، (٤٠٩-٤١٠).
(٣) الكامل، (٩/ ٤٤٧).
(٤) روضة المحبين، (٣٣٧).

القاسم: من خلفاء الدولة العباسية. ولد في بغداد، وعهد إليه بالخلافة جده القائم بأمر الله، ولقبه «المقتدي» فوليها بعد وفاته (سنة ٤٦٧ ه) وعمره ثماني عشرة سنة، فانصرف إلى عمران بغداد. وأمر بنفي المغنيات والمفسدات، وبقلع أبراج الطيور، ومنع إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، وألزم أربابها بحفر آبار للمياه. ومنع الملاحين أن يحملوا في زوارقهم الرجال والنساء مجتمعين. وكان عالي الهمة، له علم بالأدب، شعر، وأيامه خير وسعة واطمئنان. مات فجأة ببغداد(١).

* **ومن قصة شنشول - ويقال**: شنجول وهو أصح -:أن أباه المنصور غزا غزوة البررت، وهو مكان مضيق بين جبلين لا يمشيه إلا فارس بعد فارس، فالتقى الروم هناك، ثم نزل، وأمر برفع الخيام وبناء الدور والسور، واختط قصرًا لنفسه، وكتب إلى ابنه ومولاه واضح بالنيابة على البلاد، يقول في كتابه:

ولما أبصرت بلاد أرغون، استقصرت رأي الخلفاء في ترك هذه المملكة العظيمة.

فلما علمت الروم بعزمه، رغبوا إليه في أداء القطيعة، فأبى عليهم إلا أن يهبوه ابنة ملكهم الذي من ذرية هرقل، فقالوا: إن هذا لعار.

فالتقوه في أمم لا تحصى في وسط بلادهم، وهو في عشرين ألف فارس، فكان للمسلمين جولة، فثبت المنصور وولداه، وكاتبه ابن برد، والقاضي ابن

---

(١) الأعلام للزركلي، (٤/ ١٢٢).

ذكوان في جماعة، فأمر أن تضرب خيمة له، فرآها المسلمون، فتراجعوا، فهزم الله الكافرين، ونزل النصر، ثم حاصر مدينة لهم، فلما هم بالظفر، بذلوا له ابنة الملك، وكانت في غاية الجمال والعقل، فلما شيعها أكابر دولتها، سألوها البر والعناية بهم، فقالت: الجاه لا يطلب بأفخاذ النساء بل برماح الرجال، فولدت للمنصور شنجول هذا، وهو لقب لجده لأمه لقب هو به»(١).

* وفي «الكامل» لأبي العباس المبرد، قال «سمع سليمان بن عبد الملك متغنيًا في عسكره، فقال: اطلبوه، فجاؤوا به، فقال: أعد ما تغنيت، فتغنى واحتفل، وكان سليمانُ مفرطَ الغيرةَ، فقال لأصحابه: والله لكأنها جرجرةُ الفحلِ في الشول، وما أحسب أنثى تسمعُ هذا إلا صبت. ثمَّ أمر به فخصي»(٢).

وذكر القصة بتمامها، أبو محمد جعفر بن أحمد بن أحمد السراج البغدادي، في «مصارع العشاق»، فقال: «خرج سليمان بن عبد الملك يريد بيت المقدس، وكان أغير قريش وأسرعها طيرةً، فنزل منزلًا من غور البلقاء بدير لبعض الرهبان فحف بالدير أهل العسكر، وكان في من خرج معه رجل من كلب، يقال له سنان، وكان فارسًا ومغنيًا محسنًا، وشجاعًا، وبغيرة سليمان عبد الملك عارفًا، ولم يك يسمع له صوت في عسكره، فزاره في تلك

(١) سير أعلام النبلاء، (١٧/ ١٢٥).
(٢) الكامل في اللغة والأدب، (٢/ ١٩٣)، والتذكرة الحمدونية، (٩/ ٢٧).

الليلة فتية من أهله، فعشاهم، وسقاهم، فأخذ فيهم الشراب، فقالوا: يا سنان! ما أكرمتنا بشيء أن لم تسمعنا صوتك. فترنم فغناهم، فقال:

مَحجُوبـةٌ سَـمِعَتْ صَـوْتي فأرّقَهَـا ... مِـنْ آخِـرِ اللّيـلِ لمّـا بَلّهَـا السّـحَرُ
تَثْنـي عَـلى فَخْـذِهَا مُثْنَـى مُعَصْـفَرَة ... وَالحَلْـيُ مِنْهَـا عَـلى لبّاتِهَـا حَصِـرُ
لم يَحجُبِ الصّوْتَ أحرَاسٌ وَلا غَلَـقٌ ... فَـدَمعُهَا لطُـرُوقِ الصّـوْتِ مُنحَـدِرُ
في لَيلَةِ النّصْفِ ما يَـدرِي مُضَـاجِعُها ... أوَجْهُهَـا عِنْـدَهُ أبْهَـى أمِ القَمَـرُ
لَوْ خُلّيَتْ لمَشَتْ نَحْـوِي عَـلى قَـدمٍ ... تَكَـادُ مـن رِقّـةٍ للمَشـيِ تَنْفَطِـرُ

فلمَّا سمع سليمان الصوت قام فزعًا يتفهم ما سمع، وكان معه جاريته عوان، ولم يكن لها نظير في زمانها في الجمال والتمام والحذق بالغناء، وكان يحبها، فلما فهم الصوت ارتعدت فرائصه غيرة، ثم أقبل نحو عوان، وهي خلف ستر، فكشف الستر رويدًا لينظر أنائمة هي أم مستيقظة، فوجدها مستيقظة، وهي صفة الأبيات: عليها معصفرة، وحليها على لباتها، فلما أحست به، وعلمت بأنه قد علم بأنها مستيقظة قالت: يا أمير المؤمنين! قاتل الله الشاعر حيث يقول:

ألا رُبّ صَـوْتٍ جَـاءَني مِـنْ مُشَـوّهٍ ... قَبـيحِ المُحَيّـا وَاضِـعِ الأبِ واَلجَـدّ
قَصِـيرِ نِجَـادِ السّـيفِ جَعْـدٍ بَنَانُـهُ ... إلى أمَـةٍ يُعـزَى مَعًـا وَإلى عَبْـدِ

فسكن من غضبه قليلًا، ثم قال لها: فقد راعك صوته على ذلك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين صادف مني استيقاظًا، فقال: ويحك يا عوان! كأنه، والله، يراك وينعتك في غنائه في هذه الليلة، والله لأقطعنه أطباقًا كائنًا ما كان. ثم

بعث في طلبه فبعثت عوان خادمًا إليه سرًا، وقالت له: إن أدركته فحذرته، فأنت حر، ولك ديته. فخرج سليمان حتى وقف على باب الدير، فسبقت رسل سليمان، فأتوا به إلى سليمان مربوطًا حتى وقفوه بين يديه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا سنان الكلبي فارسك يا أمير المؤمنين. فأنشأ سليمان يقول:

تَثكَــلُ في الــثّكلى ســنَانًا أُمُّــه ... كَــانَ لهــا رَيحَانَــةً تَشُــمّه
وَخَالُــــهُ يَثْكَلُــــهُ وَعَمُّــــه ... ذُو سَــــفَهٍ هَنَاتُــــه تَعُمّــــه

فقال سنان: يا أمير المؤمنين:

اســتَبْقِني إلى الصّــبَاحِ أعتَــذِرْ ... إنّ لسَــاني بالشّــرَابِ مُنكَسِــرْ
فارِسُــكَ الكَلبــيُّ في يــوْمٍ نَكِــرٌ ... فــإنْ يكُــنْ أذنَــبَ ذَنبًــا أوْ عَثَــرْ
فَالسّــيّدُ العَــافي أحَــقُّ مَــنْ غَفَــرْ

فقال سليمان: أعلي تجترئ يا سنان! أما إني لا أقتلك، ولكني سأنكل بك نكالًا يؤنبك من تفحلك. فأمر به فخصي، فسمي ذلك الدير دير الخصيان(١)

* روى أبو الحسن المدائني كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بشير وكان شديد الغيرة فأشرفت يومًا تنظر إلى وفد جذام، وقد كانوا عنده فزجرها!!

فقالت والله إني لأبغض الحلال من جذام! فكيف تخاف على الحرام

(١) مصارع العشاق، (١/ ٨٠)، ط: دار صادر.

فيهم؟

وقالت له يومًا عجبًا منك كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خلال؟ أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور.

فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه، وأمَّا الجبن فإني مالي إلا نفس واحدة فأنا أحوطها فلو كانت لي غير نفس واحدة جدت بها، وأمَّا الغيرة فأمر لا أريد أن أشارك فيه وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه في حجره فقالت: وهل هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجللها بغل فإن أنجبت مهرًا عريقًا فبالحرى، وإن يك إقراف فما أنجب الفحل رجل. وامرأة تخطب له وثلاث خصال في الزوج هل تطاق وتحتمل»(١).

✍ **قال أبو الفرج ابن الجوزي** رحمه الله: «بلغني عن بعض الأشراف، أنَّه اجتاز بمقبرةٍ فإذا جارية حسناءً، عليها ثياب سوداء، فعلقت بقلبهِ فكتب إليها:

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة ... والبدر في منظر بالحسن موصوف
حتى رأيتك في أثواب ثاكلة ... سود وصدغك فوق الخد معطوف
فرحت والقلب مني هائم دنف ... والكبد حرى ودمع العين مذروف
ردي الجواب ففيه الشكر واغتنمي ... وصل المحب الذي بالحب موقوف

(١) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار لابن عبد ربه الأندلسي، (ص١٦٦-١٦٧)، وهو في العقد الفريد أيضًا، (٧/ ١٢٤).

ورمى بالرقعةِ إليها فلمَّا قرأتها، كتبت الجواب:

إنْ كنت ذا حسبٍ باقٍ وذا نسبٍ ... إنَّ الشريف غضيض الطرف معروف
إنَّ الزناة أناسٌ لا خلاق لهم ... فاعلم بأنَّك يوم الدينِ موقوف
واقطع رجاك لحاك الله من رجل ... فإنَّ قلبي عن الفحشاءِ مصروف

فلمَّا قرأ الرقعة زجر نفسه وقال: لبئس امرأة تكون أشجع منك، ثمَّ تاب ولبس مدرعة من شعر والتجأ إلى الحرم. فبينا هو في الطوافِ يومًا إذا بجارية عليها جُبَّةٍ من صوفٍ وإذا هي تلك الجارية، قالت: ما أليق هذا بالشريفِ، هل لك في المباح؟ فقال: كنتُ أروم هذا قبل أنْ أعرف الحق وأحبه، والآن فقد شغلني حبه عن حب غيره. فقالت له: أحسنت والله ما قلت لك هذا إلا لاختبارك! لأعلم حد ما انتهيت إليه ثمَّ طافتْ وأنشدت:

وطفنا فلاحت في الطواف لوائح ... غنينا بها عما يشاهد بالعقل»[1]

(١) انظر: ذم الهوى، (ص٧٧-٧٨)، ط: دار العقيدة، وذكره ابن قيم في روضة المحبين (٤٤٧).

سبل الوقاية من داء الدياثة

اعلم رحمني الله وإياك، أنَّ الشريعة الإسلاميَّة سدَّتْ كلّ طريق يقف في وجهِ تحقيق الغيرة الشرعيَّة، من التحذير من صحبة أهل الدياثة، ومجالسة المردان، وغض البصر، وتحريم أكلِ لحم الخنزير وشرب المسكرات وتعاطيها، وفعل المعاصي والذنوب، وصار في شرعنا الذي لا يغار، «ديوث»، وهو من أهل الكبائر عياذًا بالله.

سد الذرائع إلى المحرم ... حتمٌ كفتحها إلى المنحتمِ.(١)

✍ **وقال صاحب نظم القواعد الفقهيَّة:**

ورجحوا در المفاسد ... على جلب مصالح كما تأصلا

فحيثما مصلحة ومفسدة ... تعارضا قدم دفع المفسدة»(٢)

✍ **قال الفخر الرازي، في تفسيره،** «قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي، فلا بد أن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس

---

(١) «مراقي السعود»، ذكره صاحب أضواء البيان، «[٦/ ٦٠٣]، المُنحتِم، فاعل من إنحتم، وانحتم الأمر: «أي وجب وجوبًا لا يمكن إسقاطه»، والحتم: «هو إيجاب القضاء».

(٢) انظر: المواهب السنية شرح منظومة القواعد الفقهية (ص١٢٠).

ما كان حاصلًا في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتهيات، فحرم أكله على الإنسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية، وأما الشاة فإنها حيوان في غاية السلامة، فكأنها ذات عارية عن جميع الأخلاق، فلذلك لا يحصل للإنسان بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الإنسان»(١).

* وذكر ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى، علَّة النهي عن أكل لحم الخنزير فقال: «(والخنزير): وسبب تحريمه نجاسته أيضا. قال العلماء: ولأنَّ الغذاء يصير جوهرًا من بدن المتغذي فلا بدَّ وأنْ يحصل للمتغذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا من الغذاء، والخنزير مطبوع على أخلاق ذميمة جدًا، منها: الحرص الفاحش والرغبة الشديدة في المنهيات وعدم الغيرة، فحرم أكله على الإنسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية القبيحة، ومن ثمَّ لمَّا واظب النَّصارى سيَّما الفرنج على أكله أورثهم حرصًا عظيمًا ورغبة شديدة في المنهيات وعدم الغيرة، فإنَّه يرى الذكر من جنسه ينزو على أنثاه ولا يتعرض له؟ لعدم غيرته!! بخلاف الغنم ونحوها فإنَّها ذوات عارية عن جميع الأخلاق الذميمة، فلذلك لا يحصل للإنسان بسبب أكلها كيفية خارجة عن أغراضه وأحواله، وإنَّما خص لحمه بالذكر مع أن جميعه حرام؟ لأنَّ لحمه هو المقصود الذاتي منه»(٢).

✍ **قال الإمام ابن قيم**: «ومن النَّاس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيبات

---

(١) (١١/ ٢٨٣).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، (١/ ٤٢٠)، ط: دار الحديث.

فلا يلوى عليها فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمه.

ثمَّ قال: «وأحمد طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسًا وأكرمها طبعًا وكذلك الغنم وكل من ألف ضرباُ من ضورب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه فإنْ تغذى بلحمه كان الشبه أقوى فإنَّ الغاذي شبيه بالمغتذى.

ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما تورث آكلها من شبه نفوسها بها، والله أعلم(١).

ومن سبل الوقاية البعد عن الحشيشة والخمر:

ذكر شيخ الإسلام ﷺ، في «خطر الحشيشة»، قائلًا فيها «تورث قلة الغيرة وزوال الحمية حتى يصير آكلها إمَّا ديوثًا، وإما مأبونًا، وإمَّا كلاهما، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقًا كثيرًا مجانين، ومن لم يجن منها فقد أعطته؟ نقص العقل، ولو صحا منها فإنَّه لابدَّ أنْ يكون في عقلهِ خبل»(٢).

قال ابن قيِّم ﷺ في: «حادي الأرواح»، في «مضار الخمر»، «وتذهبُ الغيرة، وتورث الخزي والنَّدامة والفضيحة»(٣).

* ويقال أنَّه مرت أعرابية بقوم يشربون نبيذًا فسقوها فلما شربت أقداحًا

---

(١) مدارج السالكين، (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، ط: المكتبة التوفيقية.
(٢) الفتاوى، (٣٤/ ٢٢٤).
(٣) (ص١٧٩)، ط: المدني.

اعترتها أريحية، فقالت: أيشرب هذا نساؤكم، قالوا: نعم، قالت: إذًا زنين ورب الكعبة، فما يدري أحدكم من أبوه.

✍ **قال جحظة:**

لم يبلـــغ الشـــيخ إبلـــيس إرادتـــه ... حتى تكاثف في عنقـوده العنـب»(١)

ومنها غض البصر:

وقد تظافرت الأدلة النقلية القطعية والظنية في حرمة النظر، ونقل الإجماع العلماء على ذلك، وهو واجب وتاركه آثم فاعل لكبيرة.

✍ **وقد قال بعض صالحي السلف:** «لو خلت بدجاجة لم آمن نفسي عليها»(٢).

✍ **وقال معروف الكرخي:** «غضوا أبصاركم ولو عن شاة أنثى».

✍ **وكان الجنيد البغدادي يقول:** «إيَّاك أن تنظر بالعين التي بها تشاهد الله ﷻ إلى غير الله ﷻ فتسقط من عين الله ﷻ» (٣).

وأمَّا الصحبة:

فلأنَّ «الصاحب ساحب»، وقد حذرت نصوص الشرع من صحبة أهل الفسق والمجون.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني (١/ ٧٧٨).
(٢) أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الحظر والآفات، (ص٣٨-٣٩).
(٣) ذم الهوى، (ص٨١).

✍ **قال ابن قدامة** رحمه الله: «قد تُكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير، فإنَّ الطبع لصٌّ يسرق الخير والشر(١).

✍ **قال الأقفهسي:**

فَالطَبعُ لِصٌ فَلا تَجلِس إِلى فُسقٍ ... فَقَل أَن يَسلَمِ الآتِيه مِن زُلَلِ
كَجالِسِ الكيرِ إِن تَحضَد مُجالَسَةً ... وَفاتُكَ الشَوكُ لَم تَسلَم مِن الشُعَلِ

ثمَّ قالَ: «ومنها أنَّ الانسان لا ينبغي له الجلوس إلى فاسق؟ فإنَّه إنْ سلمَ في مشاركته في المعيشة لم يسلم من التخلق ببعض أخلاقه، فإنَّ «الطبع يسرق عند الاجتماع من حيث لا يشعر» الانسان ولهذا تقول العرب في أمثالها: الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار والطباع سراقه (٢).

إنَّ عدم الغيرة على الحرمات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات؛ إنما يكون إذا ضعف نور الإيمان في القلب، وأشبع بحب المعاصي والمفتنات، وعاش صاحبه في ظلماتِ النَّفاق فلا يحسُّ بجريمة انتهاك المقدسات، أو الاعتداء على الأعراض؛ أو تدنيس المكرمات؟ لأنه أشرب المنكر!

✍ **قال الإمام ابن قيم** رحمه الله، في «الجواب الكافي»، «ومن عقوبات الذنوب: أنّها تطفئ من القلب نارَ المغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن. فالغيرة حرارته وناره التي تُخرج ما فيه من الخَبَث

(١) مختصر منهاج القاصدين، (ص١٥٣)، ط: الهداية -دمشق.
(٢) آداب الأكل، (ص٨)، ط: دار الكتب العلمية.

والصفات المذمومة، كما يُخرج الكِيرُ خَبَث الذهب والفضَّة والحديد. وأشرف النَّاس وأعلاهم همّةً أشدُّهم غيرة على نفسه، وخاصته، وعموم الناس؛ ولهذا كان النبي ﷺ أغيرَ الخلق على الأمة، والله سبحانه أشدّ غيرةً منه».

واعلم بأنَّ من كان حاله كذلك فهو أشبه النَّاس بمن غضب الله عليهم من اليهود والنَّصارى المبدّلين، كما أنَّه علامةُ خزي وذلّ وعار، وغالبًا ما يكون سبب من أسباب الاستبدال، كما هو حاصل في بني إسرائيل وحكاه القرآن عنهم قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

* روى الإمام أحمد، بإسناده عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرص وفرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض رأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله ﷻ فصاروا إلى ما ترى»(١).

---

(١) ذكره في الزهد، (١١٧)، في ذكر زهد أبي الدرداء، وانظر السير للذهبي، (٢/ ٣٥١)، وابن الجوزي في صفوة الصفوة، (١/ ٢٤٧)، ط: التوفيقة، وفي ذم الهوى (ص١٩١).

وما حصل في احدى جزر إندونيسيا من اجتياح العاصفة التي تسمى (تسونامي) ليس ببعيد، وذلك عندما انتهكت المحرمات وماتت الغيرة في قلوب أبناء الأمة، ويا لله! كم هي حاصلة هذه الظاهرة في كثير من المجتمعات من الاختلاط والسفور، والترخيم في الكلام، وترك الواجبات من غير تذكير، وفعل المنكرات من غير نكير!

وكم هي حاصلة بظهور أهل الكفر على بلاد المسلمين وغزوهم غزوًا عقليًا، بنشر المسلسلات والأفلام الخليعات، والأغاني الماجنات التي تحرك القلوب، وتهيج النفوس وتفتن الشباب والشابات؛ بل إنَّها حاصلة ومشاهدة في احتلال البلدان بدعوة الاستيطان، كما حصل في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام، فأين النخوة وأين الغيرة! من عوام الناس، وخواصها لا سيَّما أهل العلم؟

من مخلَّفات عدم الغيرة العشق

إنَّ عدم الغيرة أيُّها المسلمون سببٌ يوقع صاحبه في بلاية عظيمة، وفتنٍ كبيرة، من أهمها: العشق المحرم(١) في بعضِ الأحيان، الذي غالبًا ما يكون باتباع المهيجات، وسلوك سبيل الغاوية، من السماعِ لدعاة الفتنة والإباحية، وأهل الدياثة والانحلال، وخلو الوقتِ بغير طاعة أو فائدة.

---

(١) قال ابن حزم في [١ / ٢٧٣]، «قد يعظم البلاء وتكلب الشهوة، ويهون القبيح، ويرق الدين حتى يرضى الإنسان في جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائح، كمثل ما دهم عبيد الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الجزيري، فإنه رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعًا في الحصول على بغيته من فتى كان علقه - نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحياطة وتحسين آثارنا وإطابة أخبارنا - حتى لقد صار المسكين حديثًا تعمر به المحافل، وتصاغ فيه الأشعار، وهو الذي تسميه العرب الديوث - وهو مشتق من التدييث، وهو التسهيل، وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل، ومنه بعير مديث، أي مذلل. ولعمري إن الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة، فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة، وما بعد هذا مصاب. ولقد كنت أعرف هذا المذكور مستورًا إلى أن استهواه الشيطان، ونعوذ بالله من الخذلان، وفيه يقول عيسى بن محمد بن مجمل الخولاني:

يا جاعلًا إخراج حر نسائه ... شركًا لصيد جآذر الغزلان

إني أرى شركًا يمزق ثم لا ... تحظى بغير مذلة الحرمان

✍ **قال ابن عقيل** رحمه الله: وما كان العشق إلا لأرعن بطال، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة أو تجارة، فكيف بعلوم شرعية أو حكمية(١).

وهذه الخصال تنمو بالحرص، وتزداد بالغرام، ومن زاد غرامه بالحرام، كان عذابه غرامًا!(٢)، وهذه البلايا تنمو لأنّ منشأها القلب، الذي هو رئيس أعضاء البدن، وتقوى مع مرور الإيام، وبسب العوامل وتقلب الأزمان، كمن كان فقيرًا ثم استغنى، أو مسافرًا ثم حضر وأقام، ويعظم ذلك إن كان قريبًا من دار المحبوبة.

والأعظم إذا كان العاشق قد أحب وأصابه الغرام بالسماع! ثمَّ حانت الفرصة وتهيأ الموعد للّقيا.(٣)

✍ **وفي كتاب «ذم الهوى»، لأبي الفرج ابن الجوزي البغدادي:**

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منا غرق
ولما رأى أدمعا تستهل ... وأبصر أحشاءه تحترق
تمنى الإفاقة من سكره ... فلم يستطعها ولم يستفق(٤)

---

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح، ٣/ ١٢٦.

(٢) قال الزجاج: الغرام أشد العذاب. وقال ابن زيد: الغرام الشر. وقال أبو عبيدة: الهلاك. تفسير القرطبي، (١٣/ ٧٢).

(٣) انظر: رسالة لي، بعنوان «العشق الأسباب والحلول».

(٤) (ص٥٨٦)

إنَّ الغيرة أيها الإخوان: من صفات الرجال، ومن علامات العقلاء، أمَّا الحمقى والمخنثون، فليس لهم من هذه الصفة حظًا؛ وممَّا يؤثر في ذلك، أنَّ عثمان بن مظعون كان قد حرم الخمر في جاهليته. وقال في ذلك: «لا أشرب شرابا يذهب بعقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، وأزوج كريمتي من لا أريد، فبينما هو بالعوالي إذ أتاه آت، فقال: «أشعرت أن الخمر حرمت وتلا عليه الآية من سورة المائدة فقال: تبا لها، لقد كان بصري فيها نافذا».

* فما فعله عثمان من امتناع نفسه، وعقله من شربة يلوث بها عقله، وتجعل الحليم حيران، والصاحي سكران، لهو دليل على صفاء معدن الغيرة فيه، ومن هنا كانت خلق عظيم.

* وعن محمد بن زياد بن الأعرابي لما شبب المجنون بليلى وشهر بحبها، اجتمع إليه أهلها فمنعوه من محادثتها وزيارتها، وتهددوه وأوعدوه بالقتل؛ فكان يأتي امرأة فتعرف له خبرها، فنهوا تلك المرأة عن ذلك فكان يأتي غفلات الحي في الليل.

فلمَّا كثر ذلك، خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى مروان بن الحكم فشكوا إليه ما ينالهم من قيس بن الملوح، وسألوه الكتاب إلى عامله عليهم يمنعه من كلام ليلى.

فكتب لهم مروان كتابًا إلى عامله يأمره أن يحضر قيسًا، ويتقدم إليه في ترك زيارة ليلى فإنْ أصابه أهلها عندهم فقد أهدروا دمه!

فلمَّا ورد الكتاب على عامله بعث إلى قيس وأبيه وأهل بيته، فجمعهم، وقرأ عليهم كتاب مروان، وقال لقيس اتقِ الله في نفسك لا يذهب دمك هدرًا،

فانصرف قيس وهو يقول:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها ... علي يميناً جاهداً لا أزورها

وأوعدني فيها رجال أبوهم ... أبي وأبوها خشنت لي صدورها

على غير شيء غير أني أحبها ... وأن فؤادي عند ليلى أسيرها

فلمَّا أيس منها وعلم أن لا سبيل إليها صار شبيها بالتائه العقل وأحب الخلوة وحديث النفس وتزايد الأمر به حتى ذهب عقله ولعب بالحصا والتراب[1].

(١) ذم الهوى، (ص٣٤٢).

حقائق تاريخية في تحقيق معنى الغيرة الشرعيَّة

إنَّ الغيرة خلق فطري جبلي عظيم في الإنسان، وقد ترى الإنسان في بعض الأحيان هادئ الطبع، رقيق المزاج، فإذا ما دُنست حرمته فإنَّه يغضبُ غضبًا عظيمًا فكأنَّما هو الليث الهصور!!

✍ **قال أبو القاسم الأصفهاني** في: «الذريعة» الغيرة: ثوران الغضب حماية على أكرم الحرم وأكثر ما تراعى في النساء، وجعل اللَّه سبحانه هذه القوة في الإنسان سببًا لصيانة الماء وحفظًا للإنسان، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت العفة في نسائها، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته في السياسات الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه، وسياسة منزله وأهله، وسياسة مدينته وضيعته(١).

✍ **وقال أبو حامد الغزالي**: «وإنَّما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح النَّاس بذلك لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل: «كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها!» ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات(٢).

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، (ص٢٤٤).

(٢) (٣/ ١٦٣)، وموعظة المؤمنين، (ص٢٠٧).

✍ **قال الإمام ابن قيم** رحمه الله: «وملاكُ الغيرةِ وأعلاها ثلاثة أنواع: غيرة العبد لربهِ أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده؛ وغيرته على قلبه أن يسكنَ إلى غيره، وأنْ يأنس بسواه؛ وغيرته على حرمته أن يتطلع إليها غيره.

فالغيرةُ التي يحبها الله ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة، وما عداها فإمَّا من خدعِ الشيطان، وإما بلوى من الله كغيرة المرأة على زوجها أنْ يتزوج عليها»(١).

حرب الفجار:

وممَّا يذكر في سببِ نشوب حرب الفجارِ بين قريش وهوازن، بسببِ تعرض شباب من كنانة لامرأة من غمار الناس، راودها على كشف وجهها، فنادت: «يا آل عامر»، فلبَّتها سيوفُ بني عامر»(٢).

✍ **قال الحافظ ابن كثير الدمشقي**: «قال ابن إسحاق هاجت حرب الفجار، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وإنَّما سمَّي يوم الفجار؟ بما استحل فيه هذان الحيان -كنانة قيس عيلان -من المحارم بينهم وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس وكان الظفر في أول النَّهار. لقيس على كنانة حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.(٣)

---

(١) روضة المحبين، (ص٣١٤).

(٢) انظر: المرأة العربية، (١/ ٢٨)، وعنه أدلة الحجاب، (ص٩٠)، ط: مؤسسة الحرمين الخيريَّة.

(٣) البداية والنهاية، (٣/ ٤٥١).

غزوة بني قينقاع:

ومن أعظم المواقف التاريخية وأنبل الأحداث في السيرة النبوية غيرة النبي ﷺ على امرأة مسلمة كشف اليهود وجهها بحيلة، كما حكاه ابن هشام في سيرته، بقوله: «وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة، عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع(١).

«المشركون وسياسة الحرب في غزوة أحد»:

ولما استدارت السنة كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش، ورأى قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء؟ حتى يكون ذلك «أبلغ في استماتة الرجال!» دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم، وكان عدد هذه النّسوة خمس عشرة امرأة(٢).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، (٢/ ٤٨)، طبقات ابن سعد، (٣/ ٦٧).

(٢) الرحيق المختوم، (١٨٢).

اليوم يوم الغيرة:

ويقال: «إنَّ خالدًا لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟

قالوا: نقول: منَّا نبي ومنكم نبي.

فقتلهم إلا واحدًا اسمه سارية، فقال له: أيُّها الرجل، إنْ كنت تريد غدًا بعدول هؤلاء خيرًا أو شرًا فاستبق هذا الرجل. يعني مجاعة بن مرارة. فاستبقاه خالد مقيدًا، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصي به خيرًا.

فلمَّا تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستردف النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم(١).

(١) البداية والنهاية، (٩/ ٤٦٧)، وفي سير أعلام النبلاء، (٢/ ٣٨٣)، ذكر من كلام «محكم بن الطفيل» لا من كلام عدو الله مسيلمة، وأما مسيلمة، فنص كلامه «يا قوم قاتلوا عن أحسابكم، فاقتتلوا قتالا شديدا».

سياسة عمر رضي الله عنه وغيرته

روى عبد الرزاق في مصنفه»، عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدق، أنَّ عمر -رضي الله عنه-، وهو يطوف سمع امرأة، وهي تقول:

تطاول هذا الليل واخضل جانبه ... وأرقني إذ لا خليل ألاعبه

فلولا حذار الله لا شيء مثله ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

فقال عمر: «فما لك؟» قالت: أغربت زوجي منذ أربعة أشهر، وقد اشتقت إليه. فقال: «أردت سوءا؟» قالت: معاذ الله قال: «فاملكي على نفسك فإنما هو البريد إليه» فبعث إليه، ثم دخل على حفصة فقال: «إني سائلك عن أمر قد أهمني فأفرجيه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟» فخفضت رأسها فاستحيت. فقال: «فإن الله لا يستحيي من الحق»، فأشارت ثلاثة أشهر وإلا فأربعة. فكتب عمر «ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[1].

---

(١) انظر: المصنف، (١٢٥٩٣)، وهو في سنن سعيد بن منصور، (٢٤٦٣)، وانظر رسائل الثعالبي، (ص٦٤)، وذكره ابن الجوزي (ص٢٥٣)، وإسناده ضعيف، السائب لم يلق عمر رضي الله عنه، وهو في روضة المحبين، (ص٢٠٩)؛ مع زيادة في متنه، وتعليق قيم لابن قيم عليه، فلينظر فيه، وهو في الأصل في اعتلال القلوب، (ص٧٢).

وا حجَّاجاه:

* وذكر أهل السير، أنَّ الكرك وهم شراة كفّار تلك الناحية سبوا نسوة من المسلمين فصاحت امرأة منهم: يا حجّاجاه! فبلغه ذلك فأرسل إلى داهر ملك الدّيبل وأمره على الغزو لهؤلاء الذين سبوا النسوة فحلف أنَّه لا طاعة له على الذين أخذوهنّ، فاستأذن عبد الملك في غزوه فلم يأذن له، فلمَّا ولي الوليد استأذنه فأذن له، فبعث لذلك محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عمّه فقتل داهر وفتح مولتان من بلاد الهند، ومات الوليد وولي سليمان، فبعث إلى محمد وضربه بالسياط وألبسه المسوح؟ لعداوة كانت بينهما، وكان أنفق في الغزوة خمسين ألف ألف درهم حتى فتح الهند فاسترجع النفقة وزيادة مثلها(١).

* وفي «فتوح البلدان للبَلَاذُري» «استعمل الحجاج بعد مجاعة مُحَمَّد بْن هارون بْن ذراع النمري فأهدى إِلَى الحجاج في ولايته ملك جزيرة الياقوت نسوة ولدن في بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجارا فأراد التقرب بهن، فعرض للسفينة الَّتِي كنا فيها قوم من ميد الديبل في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع يا حجاج، وبلغ الحجاج ذلك فقال: يا لبيك فأرسل إِلَى داهر يسأله تخلية النسوة. فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم، فأغزى الحجاج عُبَيْد اللَّه بْن نبهان الديبل فقتل، فكتب إِلَى بديل بْن طهفة البجلي وهو بعمان يأمره أن يسير إِلَى الديبل، فلما

(١) معجم البلدان، (٥/ ٢٢٨).

لقيهم نفر به فرسه فأطاف به العدو فقتلوه وقال بعضهم قتله زط البدهة، قال: وإنَّما سمَّيت هذه الجزيرة جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائه»(١).

وا معتصماه:

* ومن أشهر ما ذكر من أحداث تاريخيَّة ومعارك حقيقيَّة، من أصل نابع من الغيرة الشرعيَّة؛ ما ذكر في «تاريخ ابن خلدون» في أحداثِ سنة ثلاثٍ وعشرين، في يوم خروج نوفل بن ميخاييل ملك الروم إلى بلاد المسلمين، فأوقع بأهل زبطرة، لأنّ بابك لمَّا أشرف على الهلاك كتب إليه أنّ المعتصم قد وجّه عساكره حتى خيّاطه يعني جعفر بن دينار وطبّاخه يعنى إيتاخ ولم يبق عنده أحد، فانتهز الفرصة ثلاثا أو دونها. وظنّ بابك أنّ ذلك يدعو المعتصم إلى إنفاذ العساكر لحرب الروم، فيخفّ عنه ما هو فيه، فخرج نوفل في مائة ألف وفيهم من المجمّرة الذين كانوا خرجوا بالجبال وهزمهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فلحق بالروم، وبلغ زبطرة فاستباحها قتلًا وسبيًا وأعاد على ملطية وغيرها، ومثّل بالأسرى. وبلغ الخبر إلى المعتصم فاستعظمه وبلغه أنّ هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم: وا معتصماه! فأجاب وهو على سريره لبيك، لبيك! ونادى بالنَّفير ونهضَ من ساعته فركب دابته واحتقب شكالًا وسكة من حديد فيها رداؤه. وجمع العساكر وأحضر قاضي بغداد عبد الرحمن بن إسحاق.. الخ(٢).

---

(١) (ص٤٢٠).

(٢) ذكر فتح عمورية (٣/ ٣٢٧) بتصرف يسير.

* وفي شذرات الذهب، أنَّ المعتصم، «بلغه أنَّ امرأة شريفة في الأسرِ عند علج من علوج الرّوم في عموريّة، وأنَّه لطمها على وجهها يومًا فصاحت: «وا معتصماه». فقال لها العلج: ما يجيء إليك إلّا على أبلق، فختم المعتصم الكأس وناوله للساقي، وقال: والله ما شربته إلا بعد فك الشريفة من الأسر وقتل العلج.

ثمَّ نادى في العساكر المحمديَّة بالرحيلِ إلى غزو عموريّة، وأمر العسكر ألَّا يخرج أحد منهم إلّا على أبلق، فخرجوا معه في سبعينَ ألفٍ أبلق، فلمَّا فتح الله تعالى عليه بفتح عمّورية دخلها وهو يقول: «لبيك لبيك»، وطلب العلج صاحب الأسيرة الشريفة، وضرب عنقه، وفك قيود الشريفة»(١).

إنَّ ابني أسير في بلاد الروم:

* قال الذهبي في سير أعلام النبلاء؛ ومن مفاخر المنصور: أنَّه قدم من غزوة، فتعرضت له امرأة عند القصر، فقالت: يا منصور! يفرح النَّاس وأبكي؟ «إنَّ ابني أسير في بلاد الروم».

فثنى عِنَانَه وأمر الناس بغزو الجهة التي فيها ابنها، وقد عصاه مرة ولد له، فهرب، ولجأ إلى ملك سمورة، فغزاها المنصور، وحاصرها، وحلف ألا

---

(١) (٣/ ١٢٩).

رب وا معصـــــماه انطلقـــــت ... مـــلء أفـــواه الصـــبايا اليـــتمِ
صـــادفت أســـماعهم لكنهـــا ... لم تصـــادف نخـــوة المعتصـــم
لا يُـــلام الـــذئبُ في عدوانـــه ... إن يـــكُ الراعـــي عـــدوَّ الغـــنم

يرحل إلا بابنه، فسلموه إليه، فأمر بقتله فقتل بقرب سمورة»(١).

* وفي ديوان الحكم المأثورة، «الذبُّ عن الشرف والعرض أربى من الذياد عن الحِمى والأرض، ومن أحبَّ المكارم غار على المحارم».

✍ **ومن الأمثال**: «من جاد بماله جلّ، ومن جاد بعرضه ذلَّ»(٢).

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا ... عن الحرام فذاك الفارس البطل(٣)

✍ **وقال ابن الوردي المعري في لاميته:**

واتقِ الله فتقوى الله ما جاورت ... قلب امرئ إلا وصلْ
ليس من يقطع طُرُقًا بطلًا ... إنَّما من يتَّقِ الله البطل(٤)

في «بلخ»:

✍ **قال ابن بطوطة**: «وذكر لي بعض أهل التاريخ أنَّ مسجد بلخ بنته امرأة كان زوجها أميرًا ببلخ لبني العباس يسمَّى داود بن علي، فاتفق أن الخليفة غضب مرة على أهل بلخ لحادث أحدثوه فبعث إليهم من يغرمهم مغرمًا

---

(١) سير أعلام النبلاء، (١٧/ ١٢٦)، في ترجمة هشام: «المؤيد بالله بن المستنصر».
(٢) انظر: الفرائد والقلائد، (ص٥٣)، والأمثال والحكم للماوردي، (ص٦٢)، ط: دار الوطن.
(٣) ذكره ابن الجوزي في كتابه، «ذم الهوى»، «في ذكر ثواب من غض بصره عن الحرام».
(٤) الأبيات هي(١-٩-١٠-١١)، ص(٢٧-٢٥)، ط: مكتبة الفجر.

فادحًا، فلمَّا بلغ إلى بلخ أتى نساءها وصبيانها إلى تلك المرأة التي بنت المسجد وهي زوج أميرهم وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المغرم، فبعثت إلى الأمير الذي قدم برسم تغريمهم بثوب لها مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمر بتغريمه؟ فقالت له اذهب بهذا الثوب إلى الخليفة فقد أعطيته صدقة عن أهل بلخ لضعف حالهم، فذهب به إلى الخليفة وألقى الثوب بين يديه وقص عليه القصة فخجل الخليفة، وقال أتكون المرأة أكرم منا؟ وأمره برفع المغرم عن أهل بلخ وبالعودة إليها ليرد للمرأة ثوبها وأسقط عن أهل بلخ خراج سنة.

فعاد الأمير إلى بلخ وأتى المرأة وقصَّ عليها مقالة الخليفة ورد عليها الثوب. فقالت له: أوقع بصر الخليفة على هذا الثوب؟ قال: نعم. قالت: لا ألبس ثوبًا وقع عليه بصر غير ذي محرم مني. وأمرت ببيعه، فبنى منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلته مبني بالكذان، وهو عامر حتى الآن(١).

في قرن السابع الهجري:

* و «في القرن السابع الهجري حين ضرب التفرق أطنابه بين المسلمين حتى أضعفهم، واحتل الصليبيون قسمًا من بلاد المسلمين، وطمعوا في المزيد واستعانوا ببعضهم على بعض، حتى أوشكوا أن يحتلوا مصر، فكر حاكم مصر الفاطمي آنذاك المدعو، «العاضد لدين الله»، أن يستعين بوالي الشام، «نور الدين الزنكي»، ولكن كيف وملك الشام لا يعترف بالخليفة

(١) رحلة ابن بطوطة، (١/ ٢٩٥).

الفاطمي في مصر، ولا يؤمن بشرعية خلافته، وحكمه إنما يدين بالاعتراف للخلافة العباسية في بغداد، وبينها وبين الفاطميين أشد الخصام؟

لقد وجد الحل بواسطة المرأة والغيرة على كرامتها، وهكذا أرسل العاضد إلى نور الدين زنكي رسالة استنجاد أرفقها بأبلغ نداء: أرفقها بخصلة من شعور نساء بيت خلافته في القاهرة، وكان أن بلغ التأثير مداه، في قلب نور الدين، فسرت حمية الغيرة والنخوة في جند الشام وأهله، فبذلوا -لإنقاذ مصر من الصليبيين- فلذات أكبادهم بقيادة أسد الدين شيركوه، ويوسف بن أيوب، «صلاح الدين الأيوبي»، وهكذا صنعت المرأة بخصلة شعرها حدثًا غير مجرى التاريخ، وقلب الأحداث رأسا على عقب، إلى أن كان يوم حطين الذي غسل الأرض المقدسة من العار، وأرغم جحافل الصليبيين على حمل عصا الرحيل والتسيار(١).

أيُّها المسلمون إذا ذهبت الغيرة، وظهر التبرج، وكان الاختلاط، حصل بسبب ذلك الفتن والبلايا.

✍ **قال الدكتور مصطفى السباعي** ﷺ تعالى، «فمن المعلوم تاريخيًّا أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط، ومثل ذلك حصل تمامًا للرومانيين؛ فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة فاستطاعوا أن يفتحوا

---

(١) انظر: البداية والنهاية، (١٢/ ٢٥٥)، وماذا عن المرأة، (٢٥-٢٦)، وأدلة الحجاب، (ص١٢٩).

الفتوح، ويوطدوا أركان إمبراطورتيهم العظيمة، فلما تبرجت المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهيارًا مريعًا»(١).

ومن مظاهر النصرة بسبب الغيرة:

«ما قام به جماعة من مشركي العرب في فك الحصار عن النبي وآله وصحبه ونقضهم لصحيفة الجور والظلم!

قال ابن الأثير رحمه الله: «كان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن لؤي، وهو ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه، وكان يأتي بالبعير قد أوقره طعامًا ليلًا ويستقبل به الشعب ويخلع خطامه فيدخل الشعب. فلما رأى ما هم فيه وطول المدة عليهم، مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، أخي أم سلمة، وكان شديد الغيرة على النبي ﷺ والمسلمين، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت؟ أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم -يعني أبا جهل -ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبدا. فماذا أصنع؟ وإنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها. فقال: قد وجدت رجلا. قال: ومن هو؟ قال: أنا. قال زهير: ابغنا ثالثا، فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل

(١) كلمة للدكتور، نشرت في جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، سنة «١٣٨٧ه».

بن عبد مناف فقال له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني عدي بن عبد مناف وأنت شاهد ذلك موافق فيه؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا قال: ما أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانيا. قال: من هو؟ قال: أنا قال: ابغنا ثالثا. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: ابغنا رابعا. فذهب إلى أبي البختري بن هشام، وقال له نحوا مما قال للمطعم، قال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أنا وزهير والمطعم. قال: ابغنا خامسا. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم، قال: وهل على هذا الأمر معين؟ قال: نعم، وسمى له القوم، فاتعدوا خطم الحجون الذي بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة. فقال زهير: أنا أبدأكم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: كذبت والله لا تشق. قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا بها حين كتبت.

قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل. وأبو طالب في ناحية المسجد.

فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان: باسمك اللهم، كانت تفتتح بها كتبها، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فشلت يده.»(١).

غيرة عمير بسبب سخرية عصماء بنت مرون بالنبي ﷺ والمسلمين:

* ويذكر في السير أنَّ امرأة يقال لها، «عصماء بنت مروان» وكانت تقول شعرًا فيه سخرية، ونصه:

بإسْتِ بَنِي مالكٍ والنَّبِيبِ ... وعَوْفٍ وَبِاسْتِ بني الخزْرجَ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكمُ ... فلا من مِرُادٍ ولا مَذْحِجِ
ترَجُّونَه بَعْدَ قتْلِ الرؤُوسِ ... كما يُرْتَجَى مَرَقُ المُنْضِجِ
أَلاَ أَنِفُ يبتغي غِرَّةً ... فيقطَعَ مِن أَمَل المُرتَجِى!

فقال رسول الله -ﷺ- حين بلغه ذلك: «**ألا آخذ لي من ابنة مروان؟**» وكان ذلك لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة عشر شهرًا من هجرة النبي -ﷺ- أي: في السنة الثانية الهجرية-، فسمع ذلك من قول رسول الله -ﷺ- عمير بن عدي الخطمي الأوسي وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها، فقتلها.

وأصبح عمير مع رسول الله -ﷺ-، فقال: «يا رسول الله! إني قد قتلتها»، فقال: «**نصرت الله ورسوله يا عمير**»، فقال: «هل علي من شأنها يا

(١) الكامل لابن الأثير، (١/ ٦٨٣-٦٨٤).

رسول الله؟». فقال: «**لا ينتطح فيها عنزان**»(١).

رجل أعمى يقتل أم ولد لأنها تسب النبي ﷺ:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلًا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام» قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليه حتى قتلتها فقال النبي ﷺ: «**ألا اشهدوا أن دمها هدر**»(٢) رواه أبو داود والنسائي.

✍ **والمغول بالغين المعجمة قال الخطابي**: شبيه المشمل ونصله دقيق ماض وكذلك قال غيره: هو سيف رقيق له قفا يكون غمده كالسوط والمشمل: السيف القصير سمي بذلك لأنه يشتمل عليه الرجل أي يغطيه

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٤-٣١٥) و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٧-٢٨)، و«مغازي الواقدي» (١/ ١٧٢-١٧٤)، وانظر «وا محمدا»، لشيخ سيد حسين عفاني حفظه الله، (١/ ٣٥٩)، ط: العفاني.

(٢) رواه أبو داود في سننه، «باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ»، (٤٣٦١)، وإسناده قوي، والنسائي، في «الكبرى» (٣٥١٩).

بثوبه واشتقاق المغول من غاله الشيء واغتاله إذا أخذه من حيث لم يدر.(١)

الكلب يغار على من سخر من النبي ﷺ:

* قال الذهبي رحمه الله: «حدثنا الزين علي بن مرزوق، بحضرة شيخنا تقي الدين المنصاتي، سمعت الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي ابن الواصلي يقول في ملإ من الناس: حضرت عند سونجق خزندار هولاكو وأبغا، وكان ممن تنصر من المغول، وذلك في دولة أبغا في أولها، وكنا في مخيمه، وعنده جماعة من أمراء المغول، وجماعة من كبار النصارى في يوم ثلج، فقال نصراني كبير لعين: أي شيء كان محمد؟

يعني رسول الله ﷺ كان راعيًا، وقام في ناس عرب جياع فبقي يعطيهم المال ويزهد فيه فيربطهم، وأخذ يبالغ في تنقص الرسول، وهناك كلب صيد عزيز على سونجق في سلسلة ذهب فنهض الكلب، وقلع السلسلة ووثب على ذاك النصراني فخمشه وأدماه، فقاموا إليه فقاموا إليه، وكفوه عنه وسلسلوه، فقال بعض الحاضرين: هذا لكلامك في محمد ﷺ فقال: أتظنون أن هذا من أجل كلامي في محمد؟ لا، ولكن هذا كلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد ضربه فوثب، ثم أخذ أيضًا يتنقص النبي ﷺ ويزيد في ذلك فوثب إليه الكلب، ثانيا وقطع السلسلة وافترسه، والله العظيم، وأنا أنظر ثم عض على زردمته فاقتلعها فمات الملعون.

قال الذهبي: «وأسلم بسبب هذه الواقعة العظيمة من المغول نحو من

---

(١) الصارم المسلول، (ص٥٩)، ط: دار الحديث.

أربعين ألفا واشتهرت الواقعة(١).

غيرة الزنابير لمن سب الصديق أبو بكر، والفاروق عمر رضي الله عنهما :

✍ **في غذاء الألباب للسفاريني، قال:** «روى ابن أبي الدنيا عن أبي المختار التيمي قال: حدثني رجل قال: خرجنا في سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما-، فنهيناه فلم ينته فخرج لبعض حاجاته فاجتمع عليه الزنابير فاستغاث فأغثناه فحملت علينا فتركناه، فما أقلعت عنه حتى قطعته قطعا، وكذلك رواه ابن سبع في شفاء الصدور وزاد عليه فحفرنا له قبرا فصلبت الأرض فلم نقدر على حفرها فألقيناه على وجه الأرض وجعلنا عليه من ورق الشجر، والحجارة»(٢).

✍ **عن عمار بن سيف الضبي، قال:** خرجنا في غزاة في البحر، وعلينا موسى بن كعب، فكان معنا في المركب رجل يكنى أبا حمان، فأقبل يشتم أبا بكر وعمر، فنهيناه فلم ينته، وزجرناه فلم ينزجر، فأتينا على جزيرة في البحر فأرفينا إليها ثم خرجنا، وتفرقنا نريد الوضوء لصلاة الظهر، فأخبرنا أن الدبر، يعني الزنابير، وقعت على أبي حمان فأتت على نفسه، قال: فدفعت إليه وهو ميت، قال خلف بن تميم: فزادني في هذا الحديث نجدة بن المبارك السلمي قال: سمعت أبا الحباب يذكر شيئا، فأخبر الناس، فتعجبوا وقالوا: هذه كانت مأمورة. قال نجدة: فأقبل قوم يحفرون، فاستوعرت علينا الأرض وصلبت،

---

(١) معجم الشيوخ، (٢/ ٥٥)، وإسناده صحيح.
(٢) (٢/ ٥٠).

فلم نقدر أن نحفر له، فألقينا عليه الحجارة وورق الشجر». واللفظ ليعقوب، زاد ابن منيع في حديثه: قال خلف: «وكان صاحب لنا يبول، فوقعت نحلة على ذكره فلم تضره، فعلمنا أنها كانت مأمورة»(١).

(١) شرح أُصول اعتقاد أهل السنة، رقم، (٢٣٦٥) وروى أحمد في فضائل الصحابة، (٢٨٦) ، عن أبي المحياة قال: حدثني رجل قال: خرجت في سفر معنا رجل يسب أبا بكر وعمر، فنهيناه، فلم ينته، فخرج ليقضي حاجته، فاجتمع عليه الدبر، يعني: الزنابير، فاستغاث، فأغثناه، فحملت علينا حتى تركناه، فما أقلعت عنه حتى قطعته.

إلى معشر النساء

إلى كل امرأة مسلمةٍ غيورة عفيفة، محبةٍ لله ولرسوله ﷺ، حريصة على أن يكون مجتمعها مثالي؛ يحمل الأخلاق العفيفة، والقيم الراقية الرقيقة، وترغبُ بأنْ يعيش أهله بسلام، وصية من ناصح مشفق، «احرصي أيتها الأميرة، على نفسك من الفتن المغريات، وإياك وهذه الدعايات».

احذري يا أختاه! وما يشاع من الأخبار، ويتداول من الكلام العابر الساقط في بيئة العفة الذي لا قيمة له، ولا جناية فيه إلا العار والدمار.

وأذكرك يا أخيا بشيء من صدق الحديث عن خطر فتنة النَّساء على الرجال؛ حتى تعلمي كم من فتن ومحرمات، وأمراض وابتلاءات، حصلت بسب فتنة النِّساء. فإنَّ الله تعالى جعل هذا الدنيا ميدان اختبار، ومحط امتحان، واعلمي أنّ الله تعالى خلقك للعبادة لا للهو والعبث؛ وإن من الابتلاءات منها ما هو خير أو شر، والسعيد من صبر عليها، وفتنة النساء عظيمة، وخطرها كبير إذا لم تكن هناك ضوابط شرعية تبين ماذا للمرأة وماذا عليها؛ وقد كثرت نصوص السلف في التحذير من خطر فتن النساء.

ومن هنا فاعلمي، أنَّ من أعظم الفتن والمحن التي تمر بالمسلم، في كل يوم لمن كان مخالطًا ومعاشرًا للنَّاس هي فتنة النِّساء. فهي أول فتن بني إسرائيل، وهي من أخطر الفتن على الرجال، بل قد ذكرها الله تعالى في القرآن

في أول الفتن خطرًا من فتن الشهوات، فقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥-١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان:٢٠].

✍ **قال ابن رجب الحنبلي** رحمه الله: «جعل الله المرأة فتنة للرجل، والرجل فتنة للمرأة.»

* وروى مسلم عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ رأى امرأة، فأتى امرأته زينب، وهي تمعس منيئة لها، فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه، فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه**»(١).

---

(١) كتاب النكاح، رقم، (٩) [«تمعس منيئة لها» قال أهل اللغة المعس الدلك والمنيئة قال أهل اللغة: «هي الجلد أول ما يوضع في الدباغ»، وقال الكسائي يسمى منيئة ما دام في الدباغ وقال أبو عبيدة هو في أول الدباغ منيئة ثم أفيق وجمعه أفق كأديم وآدم (إن المرأة تقبل في صورة شيطان) قال العلماء معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن ☜

* وعن عقبة بن عامر ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكم والدخول على النِّساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»(١).

* وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا حلوة خضرة، وإنَّ الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا فتنة النِّساء، فإنَّ فتنة بني إسرائيل كانت في النِّساء**»(٢).

* وعن أسامة بن زيد بن حارثة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أنهما حدثا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما تركت بعدي في النَّاس فتنة، أضرُ على الرجالِ منْ النِّساء**»(٣).

✍ **قال العلامة الشنقيطي** ﷺ: «فسمَّى ﷺ دخول قريب الرجل على امرأته وهو غير محرم لها باسم الموت، ولا شك أنَّ تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير ؛ لأنَّ الموت هو أفظع حادث يأتي على الإنسان في الدنيا، كما قال الشاعر:

والمـــوت أعظـــم حـــادث ... ممـــا يمـــر عـــلى الجبلـــة

وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له].

(١) رواه البخاري، (٥٢٣٢)، ومسلم، (٢١٧٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرقاق (٩٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم، كتاب الرقاق (٩٨).

والجبلة: الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ [الشعراء:١٨٤]، فتحذيره ﷺ هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت دليل صحيح نبوي على أن قوله تعالى: فاسألوهن من وراء حجاب عام في جميع النساء، كما ترى. إذ لو كان حكمه خاصا بأزواجه ﷺ لما حذر الرجال هذا التحذير البالغ العام من الدخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدخول عليهن ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدخول عليهن والخلوة بهن كلاهما محرم تحريمًا شديدًا بانفراده، كما قدمنا أن مسلمًا رحمه الله أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فدل على أن كليهما حرام.

✍ **وقال ابن حجر في «فتح الباري» في شرح الحديث المذكور**: «إياكم والدخول»، بالنصب على التحذير» اه.(١)

✍ **وعن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: «النِّساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون(٢).

---

(١) أضواء البيان، (٦/ ٢٤٦).

(٢) رواه ابن حجر في المطالب العليا والبوصيري في الإتحاف وإسناده صحيح، وقال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء، «أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة»، وذكر العجلوني في كشف الخفاء، (٢٨٠٢)، «رواه في «مسند الفردوس» عن عقبة بن عامر بلفظ «النساء حبالة الشيطان».

والحبائل: جمع حبالة بالكسر، هو ما يصاد به من أي شيء كان.

✍ **وقال الحسن بن صالح**: «سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطأ، وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي».

✍ **وعن سعيد بن المسيب** رحمه الله قال: «ما بعث الله نبيًّا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء»(١).

* وروي أنَّ إبليس استشفع بموسى - صلى الله على نبينا وعليه وسلم - إلى ربه أن يتوب عليه فشفع، فقال: يا موسى إن سجد لقبر آدم. فأعلمه، فقال: بعد أن أظهر الغضب، لم أسجد له حيًا فكيف أسجد له ميتًا، لكن لك علي حق شفاعتك، اذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهنَّ: اذكرني حين تغضب فإني أجري منك مجرى الدم، وحين تلقى الزحف فإني أذكر ابن آدم حينئذ ولده وزوجته وأهله حتى يولي، وحين تجالس امرأة أجنبية فإني رسولها إليك ورسولك إليها (٢).

✍ **قال الفضيل بن عاصم**: بينما رجل يطوف بالكعبة إذ بُصر بامرأة ذات جمال فأفتنته وشغلت قلبه، فأنشأ يقول:

ما كنتُ أحسبُ أن الحب يعـرضُ لي ... عنـد الطـوافِ ببيـتِ اللهِ ذي السـترِ

---

(١) ذكرهما ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان».

(٢) انظر: مكائد الشيطان لابن أبي الدنيا، (ص٤٤)، مكائد الشيطان مع موسى عليه السلام، وذكره الهيتمي في الزواجر، وقد أفردت مكايده في جزء.

حتى ابتليتُ فصار القلبُ مختبلًا ... في حبِّ جاريةٍ حوراءَ كالقمرِ
يا ليتني لم أكن عاينتُ صورتها ... لله ماذا توخاني به بصري.(١)

* وفي كتاب أحكام النساء للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ﷺ بإسنادٍ صحيح: «أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا هارون -يعني: ابن معروف- قال: حدثنا ضمرة، قال: ابن شوذب، ذكره عن مطر قال: «لقد كُن النساء يجلسن مع الرجال في المجالس، أما اليوم؛ فإن الأصبع من أصابع المرأة تفتن»(٢).

واعلمي أنه كم من مجتمعات دمرت بسبب فتنة النساء، وكم مصائب حلَّت، بسبب عدم الغيرة على المحرمات.

✍ **وقال طاووس عن النساء**: «كان فيهنَّ كفر من مضى وكفر من بقي».

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ: «وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء(٣).

✍ **وقال زين الدين بن مرعي الكرمي** ﷺ: «وأكثر ما يفسد الملل

---

(١) موسوعة الأخلاق للخزار، (٧٤) *وروى هناد في الزهد، (١٤٢٠)، ووكيع، (٤٨٤) بإسناد صحيح عن إبراهيم قال: جاء الربيع بن خثيم إلى علقمة فوجد الباب مغلقا فدخل المسجد فمر نسوة؛ فغمض عينيه.

(٢)(ص٦٢) برقم، (١٠٧).

(٣) اقتضاء الصرط المستقيم، (ص١٩٣)، ط: دار الحديث.

والدول فتنة النساء(١).

✍ **عن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه أنه قال: «ألا تروني لا أقوم رفدًا ولا آكل إلا ما لوّق لي؟ قال يحيى: يعني -ليّن وسخن- وقد مات صاحبي منذ زمان، قال يحيى يعني: ذكره، ولا يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي، وإن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتي الشيطان فيحركه، إنه لا سمع له ولا بصر»(٢).

✍ **وكانت هند بنت المهلّب من عقلاء النّساء وكانت تقول:** «شيئان لا تؤمن عليهما المرأة: الرّجال، والطّيب.(٣)

✍ **وقد قال بعض الحكماء:** «إيَّاك ومخالطة النَّساء فإنَّ لحظ المرأة سهم، ولفظها سم.»

✍ **ورأى بعض الحكماء صيادًا يكلم امرأة فقال:** «يا صياد، احذر أنْ تصاد».

✍ **وقال سليمان بن داود** عليه السلام، **لابنه:** «امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة(٤).

---

(١) انظر: كتاب شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، تحقيق جمال صلاح، (ص١٥٠)، ط: الرئاسة العامة.

(٢) اتباع السنن للضياء المقدسي بعنايتي، (ص٣٥).

(٣) أخبار النساء لابن الجوزي، (ص٩٨).

(٤) ذكرهم الماوردي في أدب الدين والدنيا، (ص٢٠٨)، ط: التوفيقة، ولم يسند كلام ☜

✍ **لبعضهم لقوله:**

إني بُليت بأربع ما سلطت ... إلا لأجل شقاوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي
إبليس يسلك في طريق مهالكي ... والنفس تأمرني بكل بلائي
وأرى الهوى تدعو إليه خواطري ... في ظلمة الشبهات والآراء
وزخارف الدنيا تقول: أما ترى ... حسني وفخر ملابسي وبهائي(١)

✍ **وفي الكشاف عن بعض العلماء:** إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء:٧٦]، وقال في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨](٢).

✍ **قال ابن قيم** رحمه الله: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء

☜

نبي الله داود، والله أعلم بصحته.

(١) كشف الخفاء للعجلوني، (١/ ٤٨-٤٩).

(٢) كشف الخفاء للعجلوني، (١/ ٥٣)، وقال محقق الكتاب، «هذا الكلام فيه نظر؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء:٧٦] جاء مقارنًا بكيد الله، فلذلك كان ضعيفًا، وقال في كيد النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨]؛ لأنه جاء مقارنًا بكيد الرجال، فلذلك كان عظيمًا، فالسياق من المقيدات فتنبه».

سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة»(١)

✍ **وأنشد الأعشى:**

يـا مالـك النـاس وديـان العـرب ... إني لقيـت ذربـة مـن الـذرب
اخلفـت العهـد ولظـت بالـذنب ... وهـن شـر غالـب لمـن غلـب(٢)

✍ **وفي «ذم الهوى» لابن الجوزي، قال:** مخرمة بن عثمان، «نبئت أنَّ فتى من العباد هوى جارية من أهل البصرة فبعث إليها يخطبها فامتنعت، وقالت: إن أردت غير ذلك فعلت، فأرسل إليها سبحان الله! أدعوك إلى ما لا إثم فيه وتدعينني إلى ما لا يصلح، فقالت: قد أخبرتك بالذي عندي فإنْ شئتَ فتقدم

---

(١) الطرق الحكمية، (ص٢٣٩)، وهو إحدى اختيارات الشيخ ابن عثيمين من كتابه مختارات من الطرق الحكمية، (ص١٠٠)، ط: مؤسسة الشيخ رحمه الله.

(٢) رواه عبد الله في الزوائد، (٢/ ٢٠٢)، وابن سعد في الطبقات، (٧/ ٥٣)، وذكره مرعي في شفاء الصدور، (ص١٥٢)، والمودودي في المصطلحات الأربعة، (ص٧١)، وقال الشيخ الألباني في تخريجه وتحقيقه للمصطلحات، (ص٨٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد مسند أبيه، رقم (٦٨٨٥ و٦٨٨٦) بإسنادين أحدهما ضعيف، والآخر فيه رجلان تفرد بتوثيقهما ابن حبان، ومن المعلوم عند العلماء أنه متساهل في التوثيق -كما بينه الحافظ ابن حجر في مقدمة (لسان الميزان).

ومع هذا فقد صحح هذا الإسناد المعلق على المسند الأستاذ أحمد محمد شاكر على قاعدته التي جرى عليها في تعليقه هذا وفي غيره من الاعتماد على توثيق ابن حبان خلافًا للمحققين من العلماء.

وإن شئت فتأخر فأنشأ يقول:

وأسألها الحلال وتدع قلبي ... إلى ما لا أريد من الحرام
كداعي آل فرعون إليه ... وهم يدعونه نحو الأثام
فظل منعما في الخلد يسعى ... وظلوا في الجحيم وفي السقام

فلما علمت أنه قد امتنع من الفاحشة أرسلت إليه أنا بين يديك على الذي تحب فأرسل إليها لا حاجة لنا فيمن دعوناه إلى الطاعة ودعانا إلى المعصية ثم أنشد:

لا خير فيمن لا يراقب ربه ... عند الهوى ويخافه إيمانا
حجب التقى سبل الهوى فأخو التقى ... يخشى إذا وافى المعاد هوانا[1]

✍ **قال اللواء محمود شيث**: «رأيت رجلًا كهلًا في جنين-بفلسطين- يمشي مطرق الرأس بأسماله البالية، يستجدي الصدقات من الناس.

وقال صاحبي الفلسطيني يحدثني عن أمر هذا الكهل المسكين فقال: كان هذا يمتلك بيارة-بستان بلغة أهل فلسطين-للحمضيات تدر عليه عشرة آلاف جنيه كل عام، وكان يمتلك ما يزيد على الألف دونم من الأرض الخصبة المباركة التي فيها العيون، وكان في بيارته أجير يهودي له ابنة حسناء في السادسة عشرة من عمرها، وكانت تحضر الطعام لوالدها ظهر كل يوم، وفي يوم من الأيام اختلى بها حبًا، وفي اليوم الثاني عادت إليه؛ فأعاد الرجل مراودتها، فقالت: لا أسلم لك نفسي إلا بأن تكتب باسمي دونمًا من أرضك!

(١) اعتلال القلوب، (١٣٧)، وروضة المحبين، (٣٣١).

ووافق الرجل، واستسلمت له الفتاة ثمَّ صارت تمتنع عليه إلا إذا كتب باسمها دونمًا جديدًا!

واستمر حالها على هذا المنوال حتى أصبح هذا الرجل أجيرًا في بيارته وأرضه التي أصبحت ملكًا للفتاة اليهودية الحسناء، وكان أبوها يعلم ما جرى ويجري لابنته وهو فرح مرتاح، حتى إذا أصبح لليهود دولة طرد هذا الرجل من عمله، فأصبح حاله كما ترى يستجدي أكفّ الناس!»[١].

(١) طريق النصر في معركة الثأر، (ص٦١)، ط: دار القتيبة -دمشق.

قصص فيها الدروس والعبر

*** ومن القصص باختصار، أذكرها في الباب مذكرًا بها بإذن الله تعالى، ما ذكره الغزالي في «الإحياء»**: «رُوي أنَّ موسى عليه السلام كان جالسًا في بعض مجالسه، إذا أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانًا فلمَّا دنا منه خلع البرنس فوضعه، ثمَّ أتاه فقال: «السلام عليك يا موسى» فقال: له موسى من أنت؟ فقال: أنا إبليس. فقال: لا حياك الله ما جاء بك. قال: جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه.

قال: فما الذي رأيت عليك؟ قال: برنس أختطف به قلوب بني آدم، قال فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه.

وأحذرك ثلاثًا: «لا تخل بامرأة لا تحل لك؟ فإنَّه ما خلا رجلُ بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها وأفتنها به. ولا تعاهد الله عهدًا إلا وفيت به، ولا تخرجن صدقةً إلا أمضيتها فإنَّه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثمَّ ولى وهو يقول علم موسى ما يحذر به بني آدم.

✍ **وعن سعيد بن المسيب، قال**: «ما بعث الله نبيًّا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أنْ يهلكه بالنَّساء ولا شيء أخوف عندي منهن، وما بالمدينة بيت

أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح.

✍ **وقال بعضهم**: «إنَّ الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به، فلا أخطئ وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب». اه

✍ **ذكر ابن الجوزي** في «تلبيس إبليس»، و «ذم الهوى»[1] قصة جرت في بني إسرائيل: «يقول كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها فقال ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان فقال أنا الذي ضربتها وخنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال ﷻ:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحشر:١٦].

---

(١) تلبيس إبليس، (ص٣٥-٣٦-٣٧)، وذم الهوى، (ص١٤٨)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، (ص٦١)، وهي في الشعب، (٥٤٤٩)، وذكرها أبو داود في مراسيله، (٢٣٩).

* وروى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه[١] رضي الله عنه أن عابدا كان في بني إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها.

فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل! وكان ثقة في أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم، فقال أنزلوها في بيت حذاء صومعتي، قال فأنزلوها في ذلك البيت ثمَّ انطلقوا، وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانًا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلف بابه ويصعد إلى صومعته ثمَّ يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام.

قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها؟ كان أعظم لأجرك، قال فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها، ولم يكلمها قال فلبث على هذه الحالة زمانا، ثمَّ جاء إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه، وقال لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك.

---

(١) تلبيس إبليس، (٣٥)، وذم الهوى، (ص١٤٨).

قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام، ثم وضعه في بيتها، فلبث على ذلك زمانًا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه؛ فقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة!

قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانًا يطلع إليها من فوق صومعته، قال ثمَّ أتاهُ إبليسَ بعد ذلك؛ فقال لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها.

فلم يزل به حتى أنزله، وأجلسه على باب صومعته، يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها.

قال: فلبثا زمانًا يتحدثان، ثمَّ جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها فلم يزل به حتى فعل.

قال: فلبثا زمانًا، ثمَّ جاءه إبليس فرغبه في الخير، وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له لو دنوت منها، وجلست عند باب بيتها فحدثتها، ولم تخرج من بيتها! ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حينا، ثم جاءه إبليس فقال لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها!! لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله؛ فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته.

قال: ثمَّ أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل به إبليس يحسنها في عينيه، ويسول له حتى وقع عليها

فأحبلها فولدت له غلامًا، فجاء إبليس فقال أرأيت إن جاء أخوة الجارية، وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه!

فإنَّها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل فقال له أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، قال خذها واذبحها وادفنها مع ابنها!! فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها

فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوا فسألوه عنها فنعا لهم وترحم عليها وبكاها وقال كانت خير امرأة، وهذا قبرها فانظروا إليه فأتى إخوتها القبر، فبكوا أختهم وترحموا عليها، فأقاموا على قبرها أيامًا ثمَّ انصرفوا إلى أهاليهم.

فلمَّا جنَّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر فبدأ أكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان، وقال لم يصدقكم أمر أختكم إنَّه قد أحبل أختكم، وولدت منه غلامًا فذبحه، وذبحها معه فزعا منكم، وألقاها في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنَّكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعًا، وأتى الأوسط في منامه، فقال: له مثل ذلك ثم أتى أصغرهم، فقال: له مثل ذلك فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول: كل واحد

منهم لقد رأيت الليلة عجبًا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه؛ قال فانطلقوا جميعًا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم!؟

فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب، فلمَّا أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان، قال له قد علمت أنَّي أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها، وذبحتها وابنها فإنْ أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك ممَّا أنت فيه! قال فكفر العابد، فلمَّا كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه، فصلبوه قال ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [الحشر:١٦] إلى قوله: ﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ [الحشر:١٧].

أيَّتُها الأخت الفاضلة أنت في شرع الله مكرمة وفي دين الله معززة قد أعظم الشرع شأنك، وأمر برعايتك، وأكد الله على حقك من يوم ولادتك إلى مماتك،(١) هكذا أمر نبي ﷺ، وعلى هذا كان سلفك الصالح؛ وما يثيره

(١) ولي بمنة الله رسالة، بعنوان «تذكير الآباء بحقوق الأبناء من الولادة إلى النماء»، وتكلمت عن التحذير من سنن الجاهلية المنتشرة في بعض المجتمعات من بغض البنات وغير ذلك بحمد الله.

الغرب الحاقد الماكر ومن سار خلفهم وتقفى خطاهم من أبناء جلدتنا من دعاة السوء، ما هو وربي إلا ضعف بالنفس، وانفصام بالشخصية، وتبعية في التصرف، وتشبه بالعادات، وبطلان في الاعتقادات، وهذه المظاهر التي ينادون بها ما جنت على الأمة الإسلامية والمجتمعات العربية إلا المآسي والتخلف في جميع شؤون الحياة.

أَيَّتُها الكريمة: إنَّ التقليد الذي صار يعرف به الناس من هو المثقف ومن هو الجاهل،(١) ومن هو الأنيق ومن هو المتخلف، وغير ذلك من الأقاويل الباطلة التي ليس لها أي قيمة في قاموس الأخلاق والدين؛ بل إنَّما هي معايير حسية ظاهرية، لا تقوم على مبادئ الأخلاق السامية، فالبنت عند بعض الجهلة من أبناء المسلمين وبناتهم، لا تعرف أنها مثقفة إلا إذا كانت متبرجة متعطرة تخالط الرجال وتخلو بهم في بعض الأحيان، حتى قيل: لأحدهم يومًا، لِم لَمْ يتزوج؟ فأجاب: «نساء البلد جميعًا نسائي!» يعني السافرات المتبرجات، الذي يكثر من الكلام معهن والأخذ بأيدهن، والانبساط معهنَّ، فضلًا عمَّا هو أدهى وأمر من الفواحش والمنكرات!

ومن كانت من بنات المسلمين تذكر أخواتها بالله، وتبين خطر العواقب، أو تعارض تلك التقاليد البالية لكونها مسلمة عفيفة حريصة على دينها، تخاف

---

(١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم؟
وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟».
ينظر: في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٢٥).

على نفسها في ساعة لا تعرف ماذا سوف تجني من وراءها توصف في بعض الأحيان، بالمتخلفة والمعقدة والظلاميَّة، وهلمَّ جر من هذه العبارات الجارحة النابية.

وقد قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩] قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن»(١).

✍ **قال السفاريني في غذاء الألباب، وما أحسن قول القائل:**

وما ينفع الفتيان حسن وجوههم ... إذا كانت الأفعال غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى ... فما كل مصقول الحديد يماني(٢)

إنَّ المجتمع الغربي(٣) هكذا في غالب الأحيان يعامل الناس على

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٨/ ١٥١).

(٢) (٢/ ٤١٨).

(٣) قال الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله، في رسالة صغيرة بعنوان «يا بني»، (ص١٨): «رأيت في بروكسل عند ملتقى طريقين، وقد فتح الطريق للمارة، عجوزًا لا تحملها ساقاها تضطرب من الكبر أعضاؤها تريد أن تجتاز والسيارات من حولها تكاد تدعسها، ولا يُمسك أحد بيدها، فقلت لمن كان معي من الشباب: ليذهب أحدكم فليساعدها وكان معنا الصديق الأستاذ نديك ظبيان، وهو مقيم في بروكسل منذ أكثر من أربعين سنة، فقال لي: أتدري أن هذه العجوز كانت يومًا جميلة البلدة، وفتنة الناس، وكان الرجال يُلقون بقلوبهم وما في (جيوبهم) على قدميها ليفوزوا بنظرة أو لمسة منها، فلما ذهب شبابها وزوى جمالها، لم تعد تجد من يمسك ☜

الظواهر؟ لأنَّه مجتمع مادي، وقد انتقلت إلينا هذا العادة وذلك المعيار الفاشل وصارت هذه المنكرات لدى بعض أصحاب العقول الضعيفة، والقلوب المريضة شرعة وعقيدة مسلم بها، وقد يدعون إليها ويوالون فيها ويعادون عليها!

سبب غربة العفة والحياء:

يا أختاه! كم من المخالفات انتشرت، ومن المحرمات شاعت وذاعت وصارت لا تنكر؛ بل لو قام أحد فأنكرها أُنكر عليه!! لإنَّ الدين صار غريبًا عندما حاكَمناه إلى قانون العادات البالية، وحيز العقل الذي لم يفهم الشرع على أصله،(١) أو إلى مبدأ العاطفة التي أصبحت معيارًا ثابتًا في قبول الحق أو رد الباطل، وما هذه العاطفة التي ينادون بها إلا عاطفة متقلبة تفعل ما تريد في أي وقت تريد.

فكم من المحرمات أو البدع والمنكرات لو أنكرت لعَّم البلاء على من

بيدها!!»

قلت: وهذا الذي يريدونه دعاة السوء، فجور وعهر بصبغة التحضر، ومن ثمة ما هي إلا وأيام وتباع عفتك أيتها المسكينة في سوق النخاسة، وهل يا ترى سوف ينظر لك أحد أو يلتفت إليك أحد منهم؟!

(١) فمن المثال على ذلك أن بعض النساء تريد أن تفكر قبل أن تلبس الحجاب الشرعي، والآخرى تراه يخالف قانون العمل ويهددها بالفصل، والثالثة تراها عادة وليس عبادة يتعبد بها بامتثال أمر الله تعالى، والأخرى تجعلها تضيق وتشدد، وهلم جر من الحكايات الملفقة التي لا أصل لها إلا حب الأنا ورسوخ الهوى.

أنكر! وصنف في زمرة المنبوذين، وترك كلامه أمام الناس والعالم أجمعين؟ والسبب في ذلك لأنَّ هذه المنكرات وغيرها استقرت فينا بالعادات ولا يمكن أنْ تنكر إلا أن يشاء الله، ويقيد لها جيلٌ فيه بنات صالحاتٌ مصلحات يفهمنَّ معنى الغيرة الشرعيّة وعندهنَّ بذلك طرق حكيمة، وسياسة شرعيَّة في الإنكار والتعامل مع المخالف، ومثال على ما ذكرته: أنَّك أيتها الفاضلة لو أنكرتي على من تبرجت، أو نتفت حاجبها ونمصت، أو خالطت الرجال وفي الأسواق مشت لا لحاجة لها غير أنها خرَّاجة ولَّاجة لا يعرف البيت لها قرارًا أو سكينة واطمئنان، فإنها سوف تحاكمك إلى قانون العادات، فتقول لك انظري إلى بنت فلان وفلان...

- وهنا تذكري ما قلته لك حاكمتك إلى العادات لا إلى شرع رب الأرض والسماء-، وتأملي أنها لم تسق لك شيء من أدلة الشريعة ومبرر في القليل يقبله العقل، على خطر ما تقوم به من المنكرات.

إنَّها وأيم الله! الغربة الثانية التي يحتاج فيه الفرد إلى صبر وحكمة، ورفقة صالحة، ودعاء لله تعالى في أَنَاء الليل وأطراف النَّهار؛ وذلك حتى يشاء الله ويختار ما فيه خير لك فإنه على كل شيء قدير، وقد صوَّر الحسن البصري رحمه الله، هذا الحال من مئات السنين فقال: «ذهبت المعارف، وبقيت المناكر، ومن بقي من المسلمين فهو مغموم[1].

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري، (١/ ١٨٤)، وهو كتاب حافل ينبغي لكل مسلم حريص على سلامة عقيدته أن يطالعه مطالعة طالب للحق.

واسمعي لجميل هذه الوصية، قال مسروق رحمه الله: «من راقب الله في خطرات قلبه، عصمه الله في حركات جوارحه» (١).

رسالة تذكير:

تذكري بحق واعلمي بيقين، أن حياؤك وغيرتك وسمعك وطاعتك لربك كنز عظيم ثمين لا يعلم قدره إلا الله؛ وذكري بهذا الحديث الذي أنقله لك كل مسلمة نبذت الإسلام بأفعالها، وتفلتت منه بتحركاتها المشحونة بفعل الشيطان ودعاته من بني جلدتنا، بما رواه البخاري من حديث أبي مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» (٢).

وفي «**عيون الأدب**»: «استحياء المرء من الله أولًا، ثم من نفسه آخرًا»(٣).

وقولي لهم: إذا عمَّ البلاء وطم، وقلّ الحياء وانعدم، وماتت المروءة والكرامة، بقول زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله(٤).

وأخبريهم بقول سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إن الله إذا أراد بعبد هلاكا،

---

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ، لابن عباس، (ص٢٣).
(٢) صحيح البخاري، (٦١٢٠).
(٣) (ص١٣٠).
(٤) روضة العقلاء.

نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء، لم تلقه إلا مقيتا ممقتا، فإذا كان مقيتا ممقتًا، نزع منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنا مخونًا، فإذا كان خائنا مخونًا، نزع منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظا غليظا، فإذا كان فظا غليظا، نزع ربق الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربق الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطانا لعينا ملعنًا»(١).

صبرت على الأيام حتى تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعت تاقت وإلا تسلت(٢)

وذكري غيرك، بهذه القصة:

قال سعدان: «أمرَّ قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خيثم؟ لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثمَّ تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة، قال لها الربيع: «كيف بك لو قد نزلت الحُمَّى بجسمك فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيًّا عليها، فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٠٤)، وابن رجب في «جامع العلوم والحكم»، (ص٣٦٢).

(٢) أدب الدين والدنيا، (ص٢٧)، في ذكر ذم الهوى.

محترق.(١)

وقولي لهم:

إن كنت ذا حسب باق وذا نسب ... إن الشريف غضيض الطرف معروف
إن الزناة أناسٌ لا خلاق لهم ... فاعلم بأنك يوم الدين موقوف
واقطع رجاك لحاك الله من رجل ... فإن قلبي عن الفحشاء مصروف(٢)

(١) التوابين لابن قدامة، (ص١٥٧)، ط: دار ابن حزم.
(٢) ذم الهوى، (ص٧٧-٧٨)، وذكره ابن قيم في روضة المحبين (٤٤٧).

ذكر صور من لزوم نساء المسلمين البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة

✍**قال الإمام أبو بكر ابن العربي** رحمه الله: «ولقد دخلت نيفًا على ألف قرية من برية، فما رأيت نساء أصون عيالًا، ولا أعف نساء من نساء نابلس التي رمي فيها الخليل عليه السلام بالنار، فإنِّي أقمت فيها أشهرًا، فما رأيت امرأة في طريق، نهارًا، إلا يوم الجمعة، فإنهنَّ يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهنَّ، فإذا قضيت الصلاة، وانقلبن إلى منازلهَّن لم تقع عيني على واحدة منهم إلى الجمعة الأخرى. وسائر القرى ترى نساؤها متبرجات بزينة وعطلة، متفرقات في كل فتنة وعضلة، وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفائف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه»(١).

✍ **قال الثعالبي، عن هشام، عن محمد قال**: نبئت أنّه قيل لسودة زوج النبي عليه السلام: « ما لك لا تحجّين ولا تعتمرين كما يفعلنّ أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله تعالى أن أقرّ في بيتي، فو الله! لا أخرج من بيتي حتّى أموت، قال: فو الله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت

(١) أحكام القرآن، (٣/ ٥٦٩).

جنازتها»(١).

لَا يَـأْمَنَنَّ عَلَـى النِّسَـاءِ أَخٌ أَخَـا ... مَـا فِـي الرِّجَـالِ عَلَـى النِّسَـاءِ أَمِـينُ
إِنَّ الْأَمِـينَ وَإِنْ تَحَفَّـظَ جَهْـدَهُ ... لَا بُـدَّ أَنْ بِنَظْـرَةٍ سَـيَخُونُ(٢)

✍ **قال أبو عبد الله القرطبي** في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب:٣٣]:

«المقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنيج وتكسير وإظهار المحاسن للرجال، إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعًا. وذلك يشمل الأقوال كلها ويعمها فيلزمن البيوت، فإن مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام»(٣).

✍ وروى عبد الرزاق في مصنف بسند صحيح، عن مجاهد ، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] قال: «كانت المرأة تتمشى بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية»(٤).

* وفي مسند أحمد بسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: جاءت أميمة بنت رقيقة، إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام، فقال:

---

(١) تفسير الثعلبي، (٨/ ٣٥).
(٢) غذاء الألباب، (٢/ ٤٠٢).
(٣) تفسير القرطبي، (١٤/ ١٨٠).
(٤) تفسير عبد الرزاق، (٣/ ٣٧).

«**أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى**»(١).

✍ **قال أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي** في «زاد المسير» في بيان «معنى التبرج»، «وفي صفة تبرُّج الجاهلية الأولى ستة أقوال:

أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج، قاله مجاهد.

والثاني: أنها مِشية فيها تكسُّر وتغنُّج، قاله قتادة.

والثالث: أنه التّبختر، قاله ابن أبي نجيح.

والرابع: أن المرأة منهن كانت تتخذ الدِّرع من اللؤلؤ فتَلْبَسُه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إِبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي.

والخامس: أنها كانت تُلقي الخِمار عن رأسها ولا تشُدُّه، فيُرى قُرْطها وقلائدها، قاله مقاتل.

والسادس: أنها كانت تَلْبَس الثياب تبلغ المال، لا تواري جَسدها، حكاه الفراء»(٢).

---

(١) مسند أحمد، (٦٨٥٠)، والهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٧) وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) (٢/ ٤٦٢)، تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي حفظه الله.

* ومن تلك الصور ما ذكره الذهبي رحمه الله في [تاريخه]؛ قائلًا فيه: «فاطمة بنت نصر ابن العطار البغدادية. [المتوفى: ٥٧٣ ه] أخت صاحب المخزن. امْرَأَة محتشمة، زاهدة، عابدة، كبيرة القدر. شيعها أرباب الدولة لأجل أخيها، وخلْق كثير، وقال أخوها: إنها ما خرجت من البيت فِي عُمرها إلَّا ثلاث مرات رضي الله عنها»(١).

✍ **قال الماوردي في** «شرح مختصر المزني»: «والمرأة منهية عن الاختلاط بالرجال، مأمورة بلزوم المنزل(٢).

✍ **قال ابن جماعة:** «ومن أكبر المنكرات ما يفعله جهلة العوام في الطواف من مزاحمة الرجال بأزواجهم سافرات عن وجههن، وربما كان ذلك في الليل، وبأيديهم الشموع متّقدة(٣).

من ترك الزوجة عمدًا تخرجُ ... باديةً أطرافهُا تبرجُ
فلا إمامة ولا شهادة ... له وإن جرت بذاك العادة
ولا له قسط من الزكاة ... ولو فقيرًا مظهر الشكاة(٤)

✍ **وفي غذاء الألباب للسفاريني، قال:** «والمحمود من الغيرة صون

---

(١) انظر تاريخ الإسلام، (١٢/ ٥٢٦).
(٢) انظر الحاوي الكبير، (٢/ ٥٢).
(٣) هداية السالك، (٢/ ٨٦٤).
(٤) الأبيات للشيخ محمد العاقب رحمه الله، زاد المسلم (١/ ٣٨٢)، وذكرها الشيخ المقدم في «أدلة الحجاب»، (ص١٨٨).

المرأة عن اختلاطها بالرجال. وقد ذكر الإمام الحافظ ابن الجوزي في كتابه آداب النساء عن سعيد بن المسيب «أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه -قال لفاطمة -عليها السلام -ما خير النساء؟ قالت ألا يرين الرجال ولا يرونهن فقال علي فذكرت ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم -فقال: إنما فاطمة بضعة مني».

✍ **قال ابن الجوزي**: قلت: قد يشكل هذا على من لا يعرفه فيقول: الرجل إذا رأى المرأة خيف عليه أن يفتتن فما بال المرأة؟ والجواب أن النساء شقائق الرجال فكما أن المرأة تعجب الرجل، فكذلك الرجل يعجب المرأة، وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تنفر من الشيخ كما ينفر الرجل من العجوز(١).

ويضحى فتيتُ المسك فوق فراشها ... نؤومَ الضحى لم تنطق عن تفضُّلِ(٢)

(١) غذاء الألباب، (٢/ ٤٠١).

(٢) شرح المعلقات للزوزني، (ص٢٣).

رد على دعاة التحرر

أيُّتها الأخت الفاضلة اسمعي وتدبري قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ...﴾ [النساء:٣٢].

✍ **قال الحافظ ابن كثير**: «قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٢]. ورواه الترمذي.... وقال: غريب، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت يا رسول الله فذكره، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحاكم في مستدركه»(١).

✍ **قال الشيخ العلامة أحمد شاكر** رحمه الله معلقًا: «... وهذا الحديث يرد على الكذابين المفترين -في عصرنا-الذين يحرصون على أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، فيخرجون المرأة عن خِدْرِها، وعن صونها وسترها الذي أمر الله به، فيدخلونها في نظام الجند، عارية الأذرع والأفخاذ، بارزة المقدمة والمؤخرة، متهتكة فاجرة!! يرمون بذلك-في الحقيقة-إلى الترفيه الملعون

(١) التفسير، (١/ ٤٨٨).

عن الجنود الشبان، المحرومين من النساء في الجندية، تشبها بفجور اليهود والإفرنج، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة(١).

✍ **قال الشيخ محمد رشيد رضا** رحمه الله: «وهي -يعني الآية- إفادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن»(٢).

أيُّتها الفاضلة، إنَّ بعض النساء أكثرن الخروج والاختلاط، وتكلمن بكلام لا يعبر إلا عن تبعية غربية مشينة، وتشبه بأهل الكفر واضح، حتى صار المعروف عند البعض معروفًا والمنكر معروفًا، والتافه يتكلم في أمر العامة، ومن أكثر من يدندن حوله البعض هي مسألة عمل المرأة وأنها كالرجل!

هكذا هم يقولون وبالليل والنهار إلى ذلك هم يدعون وينادون، بل ويبرمجون له المسلسلات ويصنعون له الأفلام، ويعقدون له المؤتمرات والندوات، مع غيرها من أمهات المخالفات، والذي يريدون من خلال ذلك كله أن ينشأوا جيلًا بلا غيرة أو حياء؛ فما هي قيمة الأنوثة إذ زاحمت بها المرأة أماكن الرجال، وأين الرِّقة إذا كانت تخاطبهم أو يخاطبونها لغير حاجة أو ضابط، وماذا هي النتائج إذا تكررت مثل هذا المواقف.

نظـــــرة فابتســـــامة فســـــلام ... فكـــــلام فموعـــــد فلقـــــاء

(١) حكم الجاهلية، (٦٣، ٦٤).

(٢) انظر: «حقوق النَّساء في الإسلام»، (ص٤٦)، ط: المكتب الإسلامي.

ضوابط عمل المرأة

ولكن خير الكلام بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى أن نقول لهم إن العمل إذا توفرت فيه الضوابط شرعية، فإن أصله الإباحة، ولو ترتب عليه اللزوم فهو متنقل بين الندبة والوجوب، إذا توفرت فيه الشروط الشرعية:

- «بأن يكون عمل مشروع غير محرم كالرقص والزنا، وغير ذلك؛ لإن البعض جعل من هذه المحرمات وسيلة للتكسب والرزق، وقد جاء بالحديث الصحيح حرمة مهر البغي، ونص عليه القرآن.

فأما القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور:٣٣].

* وأمَّا السنَّة لما رواه البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن**»(١).

* ولمَّا رواه مسلم، من رافع بن خديج، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول:

---

(١) صحيح البخاري، (٢٢٣٧).

«**شر الكسب مهر البغي، وثمن الكلب، وكسب الحجام**»(١).

- أن يكون بإذن الولي الشرعي، ألا يكون فيه اختلاط، أن تكون ملتزمة بضوابط الشرع في العمل من العفة في اللبس، وعدم الاختلاط في العمل بالرجال.

* روى البخاري في «تاريخه»، قال عبد الله الباهلي، «رأيت سِتر عائشة رضي الله عنها في المسجد الجامع، تُكلِّم الناس من وراء الستر وتُسال من ورائه»(٢).

* وروى ابن سعد في «طبقاته»، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه، قالت: «رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها، فشقته عائشة عليها وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها»(٣).

* ورواه مالك في الموطأ، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه، أَنَّها قالت: «دخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة زوج النبي ﷺ، وعلى حفصة خمار رقيق، فشقته عائشة وكستها خمارا كثيفًا»(٤).

---

(١) صحيح مسلم، (١٥٦٨).

(٢) (٥/ ١٢١).

(٣) طبقات ابن سعد، (٨/ ٧٢)، وأم علقمة ذكرها ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي لا تعرف، لذا قال الشيخ الألباني رحمه الله، «فمثلها لا يحتج بها، وإنما يستشهد بروايتها».

(٤) موطأ مالك، «كتاب اللباس».

- أن تبتعد عن أمور الشبه كالعطر والمكياج وغيره؛ فعن أم المؤمنين الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها، قالت: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد، إذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد**»(١).

- ألا يكون ذلك على حساب البيت والأهل، إلا للضرورة وبالتراضي من الطرفين.

- أن يكون ذلك بالتزام حكم الشرع من الخروج من المنزل إلى العودة إليه، كالصحبة مع وجود محرم من محارمها إن اضطر الأمر إلى ذلك.

* فعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «**استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**» قال: فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه، (٤٠٠١)، وقال الشيخ شعيب في تخريجه، «إسناده ضعيف. موس ابن عبيدة - وهو الربذي -ضعيف، وشيخه داود ابن مدرك مجهول؛ وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٠٦٦) من طريق زيد بن الحباب، عن داود ابن مدرك، بهذا الإسناد».

(٢) رواه أبو داود، (٥٢٧٢) والطبراني (٥٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٢٢)، وحسنه الشيخ شعيب بشواهده، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة، (٨٥٦).

✍ **قال الحافظ ابن كثير الدمشقي** رحمه الله: «قال العلماء: ويستحب أن تمشي المرأة إلى جانب الطريق، كما جاء في الحديث أنهن نهين أن يحققن الطريق أي لا تمشى في وسطه. وعلى هذا فيكره أن تمشي المرأة إلى جانب المرأة صفا، بل تكون الواحدة خلف الواحدة، في تستر وحياء».

- ومن الضوابط في هذا الباب ما ذكرناه في أحكام العمل، ومثله الذهاب إلى المسجد كحضور الصلاة وطلب العلم، وغير ذلك من المندوبات.

* عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»(١).

✍ **قال النووي معلقًا في شرحه**: «أحاديث الباب ظاهر في أَنَّها لا تمنع المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث وهو ألا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال ولا شابة ونحوها ممن يفتتن بها وألا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها وهذا النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه إذا كانت المرأة ذات زوج أو سيد ووجدت الشروط المذكورة فإن لم يكن لها زوج ولا سيد حرم المنع إذا وجدت الشروط».

* وروى البخاري بإسناده عن عروة بن الزبير، أن عائشة أخبرته، قالت: «كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفهن أحد من

---

(١) صحيح البخاري، (٩٠٠)، وصحيح مسلم، (١٣٦).

الغلس»[١].

* وعن أم عطية، قالت: «أمرنا نبينا ﷺ بأن نخرج العواتق وذوات الخدور[٢].

* وقد ورد عن جماعة من السلف كراهة خروج الشابة، خوفًا من الفتنة، وأحاديث الجواز هي الأصل إذا تقيدت بالضوابط التي أشار إليها النووي في «شرحه على مسلم» كما أسلفنا ذكره.

* وقد حكى الترمذي عن الثوري وابن المبارك،[٣] وهو قول مالك وأبي يوسف، وحكاه ابن قدامة عن النخعي ويحيى بن سعيد الأنصاري.

* وروى ابن أبي شيبة عن النخعي: أنه كره للشابة أن تخرج إلى العيد.[٤]

- أن يكون العمل ضمن نطاق قدرة المرأة، فلا يحبب أن يكون في

---

(١) صحيح البخاري، (٥٧٨) [(متلفعات) متلحفات من التلفع وهو شد اللفاع وهو ما يغطى الوجه ويتلحف به. (بمروطهن) جمع مرط وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به. (ينقلبن) يرجعن. (الغلس) ظلمة آخر الليل].

(٢) صحيح البخاري، مختصرًا برقم(٩٧٤)، ومسلم في صلاة العيدين، رقم (١٠).

(٣) قال البغوي في شرح السنة المجلد الرابع من طبعة المكتب الإسلامي: (اختلف أهل العلم في خروج النساء اليوم إلى العيدين، فرخص فيه بعضهم، وكرهه بعضهم، قال ابن المبارك: أكره اليوم الخروج للنساء إلى العيدين، ومثله عن سفيان الثوري).

(٤) نيل الأوطار، وانظر أيضًا سبل السلام للصنعاني.

المناجم والأعمال الشاقة، التي لا تقوى عليها المرأة، أو يتسبب بالضرر عليها(١).

فمن خلال ما ذكرناه تبين أن الشرع يبيح العمل، لمن كانت تعمل ضمن ضوابط الشرع وأوامره؛ التي هي في أصلها حفظ لكرامة المرأة وعفتها، ولا يخالف في هذا إلا من خف عقله، وضعف نور الإيمان في قلبه.

وتعالي وتأملي قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤].

✍ **قال الحافظ ابن كثير**: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤] أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيّما عليها كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة:٢٢٨] الآية.

✍ **قال الشيخ أحمد شاكر** رحمه الله: «أمَّا النِّساء في عصرنا، فقد ملأهن الكبر

---

(١) في اليابان تعتبر مهنة ربة البيت مهنة تعطى لها الأجر أو الراتب. وإنكلترا تبحث في إعطاء المرأة راتبًا على مهنتها كربة البيت من دون أن تعمل في خارج البيت. وفي الدول الأوربية بدأت تشجعهن على ذلك، وهذا لا يعني أنهن يحرمن من كسب العلوم والعمل. ولكن الدين الإسلامي قد سبقتهم قبل أربعة عشر قرنًا، وحدّدت لها واجبها وحقوقها وساوتها مع الرَجل في معظم الأمور.
http://www.nizamettin.net/tr/arapca_makale-arastirma/kadin_haklari_ve_gorevleri.htm

والغرور والطغيان، بما بث أعداؤنا المبشرون والمستعمرون في نفوسهن، بالتعليم المتهتك الفاسق. فزعمن لأنفسهن حق المساواة بالرجال في كل شيء! في ظاهر أمرهن، وهن على الحقيقة مستعليات طاغيات، يردن أن يحكمن الرجال في الدار وخارج الدار، وأن يعتدين على التشريع الإسلامي، حتى فيما كان فيه من النصوص الصريحة من الكتاب والسنة.

بل يردن أن يكنّ حاكمات فعلًا، يتولين من شئون الرجال ما ليس لهن، وأن يخرجن على ما أمر الله به ورسوله.

بل يكفرن بأن الرجال قوامون على النساء، ويكفرن بأنه «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»، حتى طمعن في مناصب القضاء وغيرها، وساعدهن الرجال الذين هم أشباه الرجال.

ولم يخش هؤلاء ولا أولئك ما وراء ذلك من فساد وانهيار، ثم من سخط الله وشديد عقابه(١).

✍ **وجزى الله القائل:**

لحد الركبتين تشمرينا ... بربك أي نهر تعبرين
كأن الثوب ظلٌ في صباح ... يزيد تقلصًا حينًا فحينا
تظنين الرجال بلا شعور ... لأنكِ ربما لا تشعرينا

(١) حكم الجاهلية، (ص٦٤، ٦٥)، ط: مكتبة السنة، ط: الرابعة.

نصائح مستعجلة

وأكتب لك يا ابنة الإسلام، نصائح مستعجلة مختصرة، ففيها خير بإذن الله تعالى، فلربما تجهلين بعضها، فتعلمك، أو تعرفين بعضها فتذكرك بها مرة أخرى.

✍ **ومن النصائح ما رواه حرب بن إسماعيل، قال**: سألت أحمد، قلت: النساء يخرجن في العيدين، قال: لا يعجبني في زماننا هذا، لأنهن فتنة».

✍ **وسُئل**: عن الحوير، والذهب، فقال: تلبسه المرأة في بيتها، ولا تُظهره لغير زوجها، فإني أكره له ذلك، إلا أن تكون في بيتها مع أهلها(١).

✍ **قال الإمام الذهبي في الكبائر**: «ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهارها الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر(٢).

✍ **قال صالح**: سألت أبي -يعني الإمام أحمد-: «يسلم على المرأة؟ قال: أما الكبيرة فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق، فظهر مما سبق أن كلام أحمد

---

(١) انظر: أحكام النساء للإمام أحمد، الأثر الأول رقم، (١٠٦)، والثاني، (٨٨) وكلاهما إسناده صحيح.

(٢) (ص٩٤).

الفرق بين العجوز وغيرها»(١).

✍ **وفي كتاب، «الأم»**، أن مولاة لعائشة ﵂، دخلت عليها فقالت لها يا أم المؤمنين، طفت بالبيت سبعًا، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثًا، فقالت عائشة ﵂، «لا أجرك الله لا أجرك الله! تدافعين الرجال، ألا كبرتِ ومررت»(٢).

✍ **واحذري من السحرة والمنجمين، قال الإمام ابن القيم** ﵀ في «الطب النبوي»: «إن سحرهم-يعني السحرة-إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء، والصبيان، والجهال، وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية».

✍ احرصي يا أختاه! على صحبة الصالحات، واحذري من رفقة الفاجرات، وابتعدي عن المعاكسات، والاختلاط بالشباب، سواءً بمواقع التواصل، أو في المدارس والجامعات، أو من شرف البيوت والطرقات.

✍ والتزمي بلباس الحشمة وتغطية الوجه، واللبس الفضفاض؛ الذي لا يجسم عورة أو يرسم عضو، وحافظي على الصلوات بشروطها وأركانها وأهمُ شيءٍ الصلاة على أوقاتها؛ فإنّ كثيرًا من النساء قد يفوت وقتُ صلاتها،

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، (١/ ٣٣٣).
(٢) (٢/ ١٧٨).

أو تقضيها وهي في عبث وضياع لأنفس لحظات عمرها ليس لسبب أو مانع شرعي.

✍ وحافظي على الأذكار والأوراد الشرعيّة؟ فهي «الحصن الحصين المانع» بإذن الله من حصول «المس أو السحر أو العين أو الحسد» إذا قلتيها بقلب متدبر وعقلٍ متأمل لها. وأهم الأذكار، «أذكار الصباح والمساء، وأذكار الخروج من المنزل وأذكار الرجوع إلى المنزل، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، وأذكار الأكل والشرب، وأذكار النوم، وأذكار دخول الخلاء والخروج منه، وأذكار الجماع لمن كانت متزوجة» وغيرها مهم بإذن الله.

ذكر الحياء وأقسامه، وعلاقته بالغيرة

اعلمي أنَّ الحياء من الأخلاق الفاضلة، والصفات الجليلة والجميلة لدى الإنسان، وهو في بعض الأحيان دليل على صحة النفس وخلوها من أدران الوقاحة والسفالة التي لا يجهر بها إلا قليل الحياء، وهذا الخلق منه ما هو فطري يولد مع الإنسان، وينمو في الحياة مع التمرن والإقدام على فعل الخير وطلبه، ومنه يكون بالتربية والكسب، وذلك لأن الحياء خلق لا بدّ منه في النفس السوية، ومن لا يستحي فهذا إنسان معتوه لا غيرة ولا خير فيه، وهو خلق كله خير إذ لم يمنع صاحبه من فعل الخيرات، وطلب المكرمات، والسباق إلى القمم العاليات.

وهو خلق رفيع في النساء أكثر منه في الرجال، وهو في الأبكار أعذب وأجمل منه في الثيِّب، حتى جعل الرسول ﷺ أذن البكر في قبول الخاطب بحيائها، بخلاف الأيم إذ لا بد من التصريح؛ ومن جميل وصف النبي ﷺ، ما قاله أبو سعيد رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها»(١).

وإنَّ العجيبَ أنَّ بعضَ الناسِ قد يُعبر عن الحياءِ اليومَ بصفةِ الخجل التي

(١) صحيح البخاري، (٦١١٩).

هي خصلة من خصال الحياء، ولكنَّ المصاب أن يدفن الحياء في النَّساء، وتموتُ الغيرة في قلوب الرجال، وتختلط الأمور ببعضها، ويصبح خلق الحياء عند أصحاب القلوب الضعيفة الممتلئة بحظوظ النفس وشهوتها تخلف وتهرب.

وتصبح قيمة الغيرة الغالية العالية، رجعية رخيصة، بسبب التفلت الأخلاقي والبعد عن الشرع، وترك السمع والطاعة في الأمر والنهي، والذي لا يكون غالبًا إلا في ظلِّ غياب التقوى ومعاني السمو في النفس الإنسانية.

* ففي صحيح البخاري بإسناده عن عروة بن الزبير، أن عائشة، أخبرته: أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: «**ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة -أو بئس أخو العشيرة -**» فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول؟ فقال: «**أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه -أو ودعه الناس -اتقاء فحشه**»(١).

* وفي الصحيحين، عن عمران بن حصين، قال: قال النبي ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(٢).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مر النبي ﷺ على رجل، وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: إنك لتستحيي، حتى كأنه يقول: قد أضر بك، فقال رسول

---

(١) انظر: صحيح البخاري، (٦١٣١)، والأدب المفرد(٧٥٥)، ومسلم، (٢٥٩١) وهو في السنن إلا ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري، (٦١١٧).

الله ﷺ: «**دعه، فإن الحياء من الإيمان**»(١).

✍ وروى البخاري في «الأدب المفرد»، بإسناده عن سعيد بن جبير، عن **ابن عمر قال**: «إن الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»(٢).

✍ **وقال بشير بن كعب**: مكتوب في الحكمة: «إن من الحياء وقارا، إن من الحياء سكينة، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك(٣).

✍ **وعن زيد بن ثابت** رضي الله عنه قال: «من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله(٤).

✍ **قال ابن قيم** رحمه الله: «والحياء مشتق من الحياة، والغيث يسمى حيا -بالقصر -لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياء حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثًا، ومن استحى من الله عند معصيته، استحى الله

---

(١) رواه البخاري، (٦١١٨)، وهو في صحيح ومسلم وغيره.
(٢) (ص٤٧٣)، وابن شيبة في الإيمان، (ص٢١)، والبيهقي في الشعب، (٧٧٢٥).
(٣) رواه البخاري في صحيحه، (٦١١٧) وفي الأدب المفرد، (٤٧٣)، ومسلم في صحيحه، (٣٧).
(٤) روضة العقلاء.

من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته[١].

✍ **قال أبو الحسن علي بن الماوردي الشافعي**: «واعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: حياؤه من الله تعالى.

والثاني: حياؤه من الناس.

والثالث: حياؤه من نفسه.

* فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره.

* وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.

* وأما حياؤه من نفسه: فيكون بالعفة، وصيانة الخلوات[٢].

(١) الجواب الشافي.

(٢) أدب الدنيا والدين، باختصار(ص٣٣٤إلى ٣٣٦)، ط: التوفيقية.

الحياء من صفات الأنبياء، والصالحين

* فقصة نبي الله الخليل إبراهيم والملك الظالم(١) وقصة نبي الله موسى الكليم وغيرته لمَّا رأى النسوة يقفن بمعزل عن الرجال، ولا يسقين حتى ينتهي الرجال(٢)، وغيرة النبي ﷺ في مواقف ذكرنا شيءً منها، وهي في

(١) هاجر إبراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك أو جبار فقيل دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء؛ فسأله عنها فقال من هذه؟ قال أختي! فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض إلخ هذا ظاهر في أنه سأله عنها أولا ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده وفي رواية هشام بن حسان أنه قال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي وإنك أختي في الإسلام.
واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختا كانت أو زوجة فقيل كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج كذا قيل ويحتاج إلى تتمة وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إن علم أن لها زوجا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره بخلاف ما إذا علم أن لها أخا فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به وقيل أراد إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق والتقرير الذي قررته جاء صريحا عن وهب بن منبه.
انظر: فتح الباري، (٦/ ٣٩٢،٣٩٣)، والبداية والنهاية، (١/ ٣٤٩)،

(٢) ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ ☜

سيرته معلومة مشهورة.

* ويروى أنَّ نبي الله الكليم موسى عليه السلام عندما قال: يا رب مَن أهلك الذين هم أهلك، الذين تظلّهم في عرشك؟ قال: هم البريئة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابّون بجلالي، الذين إذا ذُكرت ذُكروا وإذا ذُكروا ذُكرت نذكرهم، الذين يسبغون الوضوء في المكاره، ينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى وكورها، ويكلفون بحبي كما يكلفَ الصبي بحب النَّاس، ويغضبون لمحارمي إذا استُحِلت كما يغضبُ النَّمر إذا حَرِبَ(١).

[القصص:٢٦].

قال ابن كثير في البداية والنهاية، [٢/ ١٨٨] «فاحتملته الغيرة على أن قال لها: ما يدريك ما قوته، وما أمانته؟ فقالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أني امرأة صوب رأسه، فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: امشي خلفي، وانعتي لي الطريق. فلم يفعل هذا إلا وهو أمين. فسري عن أبيها، وصدقها، وظن به الذي قالت، فقال له: هل لك ﴿أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص:٢٧] ففعل، فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة، وكانت السنتان عدة منه، فقضى الله عنه عدته، فأتمها عشرًا.

(١) أخرجه أحمد في الزهد، (ص٩٥)وفيه: هشام بن سعيد قال ابن حجر: صدوق له أوهام، وابن الجوزي في صفوة الصفوة، (١/ ٢٦)، ط: التوفيقية.

* ومن جميل ما وصف به حياء النَّبي ﷺ، ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بقوله: كان رسول الله ﷺ: «أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه(١).

* في «مسند أحمد»، في جزء حديث عبد الله بن جزء الزبيدي، ونصه: عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، حدثه: أنه، مر وصاحب له بأيمن وفتية من قريش قد حلوا أزرهم، فجعلوها مخاريق يجتلدون بها، وهم عراة، قال عبد الله: فلما مررنا بهم قالوا: إن هؤلاء قسيسون فدعوهم، ثم إن رسول الله ﷺ خرج عليهم، فلما أبصروه تبددوا، فرجع رسول الله ﷺ مغضبا، حتى دخل وكنت أنا وراء الحجرة، فسمعته يقول: «**سبحان الله، لا من الله استحيوا، ولا من رسوله استتروا**»، وأم أيمن عنده تقول: استغفر لهم يا رسول الله قال عبد الله: «فبلأي ما استغفر لهم»، قال عبد الله: وسمعته أنا من هارون» (٢).

بل قد بلغت هذا الغيرة، وتلك العفة والحياء؛ مبلغًا عظيمًا عند العرب

---

(١) رواه البخاري في صحيحه(٣٥٦٢)، ومسلم في الصحيح، (٢٣٢٠).

(٢) رواه برقم، (١٧٧١١)، وأخرجه-أبو يعلى (١٥٤٠)، عن هارون، بهذا الإسناد.
آخره: قال عبد الله: فبأبي ما استغفر لهم.
وأخرجه البيهقي في «شعب الايمان» (٧٧٦٣) من طريق بحر بن نصر، عن ابن وهب، به. وعنده: فلا والله ما استغفر لهم.
وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٣٠١، والبزار (٢٠٢٩- كشف الأستار).

في جاهلتهم:

* قال أبو عمرة بن العلاء؛ «كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال، وتمامهنَّ في الإسلام السابعة. السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والتواضع وتمامهن في الإسلام الحياء[١].

✍ **وقال بعض الحكماء**: «ما فجر غيور قط؛ يقول: إن الغيور هو الذي يغار على كل أنثى[٢].

✍ **ومن «نثر الدر»**: لما قتل قيس بن زهير أهل الهباءة، وخرج حتى لحق بالنمر بن قاسط، قال: يا معشر النمر، أنا قيس بن زهير، غريب حديب طريد شريد موتور، فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى، وأذلها الفقر؛ فزوجوه امرأة منهم. فقال: إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقي: إني فخور غيور آنف، ولست أفخر حتى أبتلى، ولا أغار حتى أرى، ولا آنف حتى أظلم! فرضوا أخلاقه، وأقام فيهم حتى ولد له، ثم أراد التحول فقال: إني أرى لكم علي حقًا بمصاهرتي إياكم، ومقامي بين أظهركم، وإني أوصيكم بخصال آمركم بها، وأنهاكم عن خصال: عليكم بالأناة فإن بها تدرك الحاجة وتنال الفرصة، وتسويد من لا تعابون بتسويده، والوفاء فان به يعيش الناس، وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع ما تريدون منعه قبل [الإلحاح]، وإجارة الجار على الدهر، وتنفيس البيوت عن منازل الأيامى،

---

(١) روضة العقلاء، (ص٢٦٦).

(٢) المجالسة، [٢/ ٤٥٨].

وخلط الضيف بالعيال. وأنهاكم عن الرهان ففيه ثكلت مالكًا أخي، وعن البغي فإنه صرع زهيرًا أبي، وعن السرف في الدماء فإن قتلي أهل الهباءة أورثني العار، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق، وأنكحوا الأيامى الأكفاء فإن لم تصيبوا بهن الأكفاء فخير بيوتهن القبور. واعلموا أني أصبحت ظالمًا مظلومًا: ظلمتني بنو بدر بقتلهم مالكًا، وظلمتهم بقتلي من لا ذنب له(١).

✍ **قال أبو حاتم البستي**: «والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ومن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم قحته ولقد أحسن الذي يقول:

ولـيس بمنسـوب إلى العلـم والنهـى ... فتـى لا تـرى فيـه خلائـق أربـع
فواحـدة تقـوى الإلـه التـي بهـا ... ينـال جسـيم الخيـر والفضـل أجمـع
وثانيـة صـدق الحيـاء فإنـه ... طبـاع عليـه ذو المـروءة يطبـع
وثالثـة حلـم إذا الجهـل أطلعـت ... إليـه خبايـا مـن فجـور تسـرع
ورابعـة جـود بملـك يمينـه ... إذا نابه الحق الـذي لـيس يـدفع (٢)

وأعلى من ذلك وأجل، ما ذكره الله سبحانه في قصة ابنتي شيخ مدين: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥].

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، (ص٥٣١)، وذكره الأصفهاني في محاضرات الأدباء مختصرًا، (٢/ ٢٥٣).
(٢) روضة العقلاء، (ص٤٨).

✍ **فقد جاء عن عمر** -رضي الله عنه- بسند صحيح أنه قال: جاءت تمشي على استحياء قَائِلَةً بثوبها على وجهها، لَيْسَت بِسَلْفَعٍ مِن النساء ولَّاجةً خرَّاجة. والسلفع من النساء: الجريئة السليطة، كما في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى».(١)

وفي الآية أيضًا من الأدب والعفة والحياء، ما بلغ ابنة الشيخ مبلغًا عجيبًا في التحفظ والتحرز، إذ قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥] فجعلت الدعوة على لسان الأب، ابتعادًا عن الرَّيب والرِّيبة.(٢)

✍ **قلت:** ابتعدت النسوة عن مواطن الريبة، فكنَّ لا يسقين مع الرجال، وكان الجواب على سؤال الكليم عند البئر مختصر وسديد، وجاءت إحداهنَّ فقدمت كلام والدها قبل أن تقول أنت مدعو عندنا؟ بعدًا عن الريبة والشبهة.

ومشت إحداهنَّ باستحياء دلالة علة أنَّ هذا الخلق العظيم، فيها طبعة وسجية، ليس بتصنع وتهكم.

فأين نحن اليوم من هذا؟؟

(١) (٣/ ٣٨٤)، و ورواه ابن شيبة بلفظٍ آخر في مصنفه بسندٍ صحيح في «كتاب الفضائل»، (٣٢٥٠٣).

(٢) حراسة الفضيلة، (ص١٣٨).

ذكر حياء من كان قبلنا، خوفًا من الله، وغيرة على المحارم

اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه:

* عن نافع، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، عن النَّبي ﷺ، قال: «**خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرًا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر**

وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فكشف عنهم»(١).

توبة الكفل:

* عن ابن عمر قال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثا قال: «**كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال لها: ما يبكيك؟! أكرهتك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط.**

قال: فلم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قط؟

قالت: حملتني عليه الحاجة.

قال: فتركها ثم قال: اذهبي والدنانير لك. ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبدًا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه غفر الله للكفل(٢).

أمـــا الشـــباب فظلمـــةٌ للمهتـــدي ... وبـــه ضـــلال الجاهـــل المتمـــرد
فاقمعـه بالصـبر الجميـل ودم عـلى ... الصـــوم الطويـــل فإنـــه كـــالمبرد
واكفف لسـانك عـن فضـول كلامـه ... واحفظـه حفـظ الجـوهر المتبـدد

---

(١) رواه البخاري، (٢٢١٥)، ومسلم في كتاب الرقاق، «باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال»، (٢٧٤٣).

(٢) التوابين، (ص٥٠)، والقصة ساقها أحمد في مسنده بإسنادٍ ضعيف، (٤٧٤٧) وأخرجها الترمذي في سننه، (٢٤٩٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧١٠٩).

واغضض جفونك عن حرامٍ واقتنع ... بحلال ما حصلت تحمد في غد
ودع الصبا فالله يحمد صابرًا ... يا نفس هذا موسمٌ فتزودي
الصبر عن شهوات نفسك نومةٌ ... فاثبت وغالط شهوةً لم ترقد
تحمد هناك إذا هواك تركته ... يا سعد تسعد بالمعاش الأرغد
إن شئت نيل الفخر فاصبر واصطبر ... إن المفاخر في الطريق الأبعد(١)

قصة شاب عابد:

* وعن جعفر بن معاذ قال: أخبرني أحمد بن سعيد العابد عن أبيه، قال: كان عندنا بالكوفة شاب يتعبد لازم للمسجد الجامع، لا يكاد يخلو منه؛ وكان حسن الوجه، حسن القامة، حسن السمت، فنظرت إليه امرأة ذات جمال، وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها.

فلمَّا كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد منزله، فقالت: له «يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ثمَّ اعمل ما شئت فمضى»، ولم يكلمها، ثمَّ وقفتْ له بعد ذلك على طريقهِ وهو يريدُ منزله فقالت: له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها، فأطرق مليًا، وقال: «لها هذا موضع تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعًا!».

فقالت: له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشرف العباد إلى مثل هذا مني والله إن الذي حملني على أن لقيتك في هذا

(١) أنشده أبو الفرج ابن الجوزي في مواسم العمر، (ص٥٠)، دار البشائر.

الأمر بنفسي لمعرفتي أنَّ القليل من هذا عند النَّاس كثير. وأنتم معاشر العباد في مثال القوارير أدنى شيء يعيبه وجملة ما أكلمك به أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك.

قال: فمضى الشاب إلى منزله، وأراد أن يصلي فلم يعقل، كيف يصلي؟ فأخذ قرطاسًا وكتب كتابًا ثمَّ خرج من منزله، فإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى إليها الكتاب، ورجع إلى منزله

وكان الكتابُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

اعلمي أيتها المرأة أن الله تبارك وتعالى إذا عصي حلم، فإذا عاود العبد المعصية ستره، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله ﷻ لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه.

فإن كان ما ذكرت باطلًا فإني أذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري.

وإن كان ما ذكرت حقًّا فإني أدلك على طبيب هو أولى بالكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فإني متشاغل عنك بقوله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٨، ١٩] فأين المهرب من هذه الآية.

ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد أراد

الرجوع إلى منزله لئلا يراها.

فقالت: يا فتى لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا أبدًا إلا بين يدي الله ﷻ.

وبكت بكاء كثيرًا، ثمَّ قالت أسأل الله ﷻ الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك، ثمَّ تبعته، فقالت «امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها».

فقال لها الفتى: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وأذكرك قوله ﷻ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠].

قال: فأطرقت وبكت بكاء أشدُّ من بكائها الأول، ثمَّ أفاقت، ثمَّ لزمت بيتها، وأخذت في العبادة.

قال: فكانت إذا جهد بها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينيها؟!فيقال لها وهل يغني هذا شيئًا فتقول وهل لي دواء غيره!!

وكان إذا جنَّ عليها الليل قامت إلى محرابها، فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدًا.

فكان الفتى يذكرها ثمَّ يبكي عليها، فيقال له ممَّ بكاؤك وأنت أيستها، فيقول: إنَّي ذبحت طمعي منها في أول مرة، وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله ﷻ، وإني لأستحي من الله ﷻ أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده(١).

---

(١) ذم الهوى، (٤٣٩-٤٤٠).

زوجة عبيد بن عمير:

* وذكر أبو الفرج وغيره: «أنَّ امرأةً جميلةً كانت بمكَّة وكان لها زوج فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتتن به؟! قال نعم قالت من قال عبيد بن عمير قالت:

فائذنْ لي فيه، فلأفتننَّه، قال قد أذنت لك[١] قال فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر فقال لها يا أمة الله استتري فقالت إني قد فتنت بك قال إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك قالت لا تسألني عن شيء إلا صدقتك قال أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو أردت الممر على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت اللهم لا! قال صدقت قال فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك قالت اللهم لا قال فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك قالت اللهم لا قال صدقت قال اتسقي الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك قال فرجعت إلى زوجها فقال ما

---

(١) وهذا شأن البطالين المفلسين.

صنعت؟ قالت أنت بطال ونحن بطالون فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول مالي ولعبيد بن عمير؟ أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروسًا فصيرها راهبةً![١].

(١) ذكره ابن قيم في روضة المحبين عنه، (٣٤٠).

ذكر صور من حياء الصحابة

✍ **قال ابن شيبة في مصنفه**: «باب من كره أن ترى عورته» حدثنا ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري قال: أخبرني عروة، عن أبيه أن أبا بكر الصديق قال وهو يخطب الناس: «يا معشر المسلمين، استحيوا من الله، فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطيًا رأسي استحياء من ربي»(١).

✍ **وقال**: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي موسى، قال: «إني لأغتسل في البيت المظلم فأحني ظهري إذا أخذت ثوبي حياء من ربي»(٢).

✍ **ويروى** أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس، وقال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس(٣).

---

(١) (١١٢٧)، وذكره ابن حبان في روضة العقلاء، (ص٤٩)، في ذكر الحث على لزوم الحياء.

(٢) (١١٢٨) ومن طريقه رواه، ابن كثير في كتابه، الآداب والأحكام المتعلقة بدخول الحمام، (ص٥٠)، ط: دار الوطن.

(٣) أدب الدنيا والدين، (ص٣٣٨)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، (ص٣١٢).

ومن صور الغيرة العظيمة التي نبعت عن خلق الحياء غيرة الفاروق رضي الله عنه، على أمهات المؤمنين.

* ففي الصحيحين، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

وآية الحجاب؛ قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب.(١)

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، فنزلت هذه الآية (٢).

* وفي مسند أبي عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها، قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أيّما امرأة وضعت ثيابها، في غير بيتها، فقد هتكت ما بينها، وبين الله**

---

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٥٣].

(٢) رواه البخاري، برقم، (٤٠٢)، ومسلم، برقم، (٢٣٩٩)، بلفظ: «وافقت ربي في ثلاث، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر».

ﷻ، أو ستر ما بينها وبين الله ﷻ»(١).

* وعن أبي أذينة الصدفي ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ «قال: «**خير نسائكم الودود الولود، المواتية المواسية، إذا اتقين الله، وشرُّ نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثلُ الغراب الأعصم**»(٢).

وفي هذين الحديثين إشارة أن هذه الصفات لا تقع إلا ممن انعدم فيها الحياء، وغابت الغيرة عنها، فهي لا تكترث لما تفعل، ولما سوف يحصل من فعلها!

حياء أم المؤمنين عائشة ﷺ:

* قالت ﷺ: «كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ، وإنِّي واضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلمَّا دفن عمر -ﷺ- معهم فو الله! ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر ﷺ» «هذا حديث صحيح

---

(١) مسند أحمد (٢٥٦٢٧)، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية»، (٣/ ٣٢٥).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى، (١٣٤٧٨)، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف.
وأبو أذينة مختلف في صحبته، وقد ضعفه الشيخ شعيب في التعليق على المسند (١٧٧٧٠)، وابن القطان، في النظر في أحكام النظر، (١٧٧)، وهو في الحلية عن ابن مسعود، (٨/ ٣٧٦)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة، (١٨٤٩).

على شرط الشيخين ولم يخرجاه(١).

* **وعنها قالت**: «جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة:١٢] الآية» قالت: «فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها» فقالت عائشة: «أقري أيتها المرأة، فو الله ما بايعنا إلا على هذا» قالت: فنعم إذا، فبايعها بالآية(٢).

ذكر جزء من حديثِ الإفك:

عن الزهري قال: أخبرني سعيد المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرّأها الله بما قالوا. وكلُّهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصًا. وقد وعيت عن كل منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يُصدِّق بعضًا.

* ذكروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد ان يخرج سفرًا أقرع بين نسائه فَأَيَّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

---

(١) انظر: المستدرك، (٤٤٠٢) وصححه الشيخ الألباني في المشكاة، (١٧٧١).

(٢) رواه أحمد، (٢٥١٧٥)، وقال الشيخ شعيب رحمه الله، وهو في «مصنف» عبد الرزاق (٩٨٢٧) و (٢١٠٢٠)، ومن طريقه أخرجه ابن حبان (٤٥٥٤)، والبزار (٧٠) (زوائد).

قالت عائشة: فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وانزل فيه مسيرنا. حتى إذا فرغ رسول الله من غزوه وقفل ودنونا من المدينة اذن ليلةً بالرحيل فقمت حتى آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت الى الرَّحْل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظَفار قد انقطع فرجعت فالتمست عِقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يُهَبَّلْنَ ولم يغْشهُنَّ اللحم، انما يأكلن العُلْقةَ من الطعام فلم يستنكر القوم ثِقَلَ الهودج حيت رحلوه ورفعوه. وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عِقدي بعد ما استمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون إلَيَّ. فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطَّل السُلَمِيُّ ثم الذَّكوانِيُّ قد عَرَّسَ من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل ان يضرب الحجاب عَلَيَّ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فجمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى اناخ راحلته فوطيء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من

هلك في شأني»(١).

ذكر أسماء رضي الله عنها :

* وعن هشام بن عروة: «أن المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر بكسوة من ثياب مروية وقوهية رقاق عتاق بعدما كف بصرها، قال: فلمستها بيدها ثم قالت: أف ردوا عليه كسوته قال: فشق ذلك عليه وقال: يا أمه إنه لا يشف. قالت إنها إن لم تشف فإنها تصف»(٢).

ذكر فاطمة رضي الله عنها :

* وعن أم جعفر بنت محمد بن جعفر، أنَّ فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- قالت: «يا أسماء! إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله -ﷺ-ألا أريك شيئًا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبًا فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل. فإذا مت أنا فاغسليني أنت وعلي ولا يدخل علي أحد فلما توفيت غسلها علي وأسماء رضي الله عنهما(٣).

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، (٥٦)، وخلق أفعال العباد للبخاري، (٣٥).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٨٤) بإسناد صحيح إلى المنذر، وهذا ذكره ابن حبان في «الثقات»، (٥/ ٤٢٠)، وقال: «روى عنه محمد بن المنذر»، وجود إسناده الشيخ الألباني في «جلباب المرأة المسلمة»، (ص١٢٧).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية، (٢/ ٤٣)، وانظر تخريجه في «جلباب المرأة المسلمة»، (ص١٣٦).

✍ **قال الشيخ الألباني** رحمه الله **تعالى معلقًا**: في «جلباب المرأة المسلمة»، «فانظر إلى فاطمة بضعة النبي -ﷺ- كيف استقبحت أن يصف الثوب المرأة وهي ميتة فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح فليتأمل في هذا مسلمات هذا العصر اللاتي يلبسن من هذه الثياب الضيقة التي تصف نهودهن وخصورهن وألياتهن وسوقهن وغير ذلك من أعضائهن ثم ليستغفرن الله تعالى وليتبن إليه وليذكرن قوله ﷺ: «**الحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**».

📄 ذكر أم خلاد:

* وروى أبو داود في سننه، عن ثابت بن قيس بن شماس، قال: جاءت امرأة إلى النبي -ﷺ- يقال لها: أم خلاد، وهي متنقبة، تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي -ﷺ-: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي، فقال رسول الله -ﷺ-: «**ابنك له أجر شهيدين**» قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «**لأنه قتله أهل الكتاب**»(١).

📄 حفصة بنت سيرين:

* وفي معرض ذكر شيءٍ من حياء الصحابيات، أذكر هنا صورة مشرقة مشرفة لتابعية عالمة محدثة.

---

(١) السنن، (٢٤٨٨)، وإسناده ضعيف؛ وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٣٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٥٩١)، والبيهقي، (٩/ ١٧٥).

✍ **عن عاصم الأحول قال:** كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به فنقول لها رحمك الله قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ [النور:٦٠] هو الجلباب قال فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور:٦٠] فتقول: «هو إثبات الجلباب»(١).

نعم إنه ثوب الحياء، وكم هو غالٍ في زمان صار فيه كاسد إلا ممن رحمهم الله.

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تجرد عريانًا وإن كان كاسيًا
وخير خصال المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيًا

ختام الكلام في هذا الفصل:

وفي الختام انظري ماذا فعل الحياء والخوف من الله، والغيرة على الحرمات؛ ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله، في رسالته، «كلمة الإخلاص»:

✍ **قائلًا فيها:** «يا قوم، قلوبكم عَلَى أصل الطهارة، وإنَّما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلًا من (ماء) العيون، وقد طهرت.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى»، (٧/ ١٥٠)، «باب ما جاء في القواعد من النساء»، من طريق سعدان بن نصر، ثنا سفيان بن عيينة، عن عاصم الأحول.

اعزموا عَلَى فطام النفوس عن رضاع الهوى، فالحِمية رأس الدواء.

متى طالبتكم بمألوفاتها، فقولوا لها كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل، الَّذِي دمي وجهه: قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة.

ذكِّروها مدحةَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] لعلها تَحِنَّ إِلَى الاستقامة.

عرفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد، لعلها تستحي من قربه ونظره: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق:١٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر:١٤].

- راود رجلٌ امرأةً في فلاة ليلًا فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟!

- أكره رجلٌ امرأةً على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب ففعلت، فقال لها: هل بقي باب لم تغلقيه؟ قالت: نعم، الباب الذي بيننا وبين الله! فلم يتعرض لها.

- رأى بعض العارفين رجلًا يكلم امرأة، فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما![1]

---

(١) وهي مجموعة مع ثلاث رسائل، (ص٢٤١) بعناية الشيخ محمد العمري، وبعضها في رسالته المسمى، «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس»، ☜

✍ وقال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول في مرضه الذي مات فيه اللهم إنك تعلم أني لم أطأ فرجًا حرامًا قط وأنا أعلم ولم آكل درهمًا حرامًا قط وأنا أعلم.

✍ **وكان الإمام أحمد ينشد:**

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا ... تقل خلوت ولكن قل: علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

✍ **وكان ابن السماك ينشد:**

يا مدمن الذنب أما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويكا[١]

✍ **وكان سفيان الثوري رحمه الله، يتمثل بهذين البيتين:**

تفنى اللذاذة ممن ذاق صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار[٢]

(ص١٣٧، ١٣٨)، وعبارة أين مكوكبها في روضة المحبين، (٣٩٥).

(١) جامع العلوم والحكم، (٢٩٨-٢٩٩)، ط: الدار العالمية.

(٢) روضة المحبين، (٤٤٢).

إلى الآباء والأمهات

إنَّ ظاهرة انعدام الغيرة صارت موضة تتبع في بعض البلدان، وشريعة تنسخ في بعض الأحيان، وعفة تهان بين الحين والآخر، بحسب العادات المتجددة، والتقاليد البائسة، والأمراض المنتشرة.

وإنَّه من المؤسف والمحزن أنْ ترى أنَّ ذلك يكون بمشاركة من الولدين اتجاه أبناءهم في بعض المناسبات أو الأوقات. لا سيَّما في أماكن الاختلاط والأفراح، وأعجب والله؟ من تلك الأم الفقيرة التي قلَّت الثقة بنفسها، وانعدمت شعلة المروءة عندها، كيف طابت نفسها أن تطلب من ابنتها أن ترقص أو تتمايل، أو تتعرى بلباس قصير شفاف يصف المحاسن، ويلهب القلوب، ويألب الناس، ويحير العيون!

وكله حتى يقال: بنت من هذه، وكم هو عمرها،،، ويبدأ عدَّاد الأسئلة بالعمل، وعيون الحساد بالشغل، وألسنة أهل الحقد بالطعن، فضلًا عن جناية عظيمة قد تقع على تلك البنت المسكينة من إصابة بالعين، أو سحرٍ أو غير ذلك من الأمراض التي سببها النفوس المريضة، وكل ذلك رغبة من الأم وإصراراً منها على ابنتها الصغيرة أن تفعل ما تطلبه أمها تحت التهديد من الحرمان من المصروف، أو المنع من الذهاب إلى صاحبتها، أو تحريش الأب العاجز في بعض الأحيان عليها، أو إشعارها بأنها سوف تغضب عليها

إن لم تفعل ذلك، إنَّ هذه الأم مفهوم المحبة وحقيقتها مطموسة عندها، ولو أنها عقلت ذلك لكانت غيورة على ابنتها، آمرةً لها بالحشمة والتعفف، فإن من علامات المحبة الصادقة الغيرة على المحبوب بكل ما يؤتى الإنسان من معاني الغيرة الشرعيَّة التي لا يكون لها آثارًا سلبية.

بل إنَّ العجيب من بعض الآباء أن يرى أنَّ ابنه الشاب يجاهر في بعض الأحيان بالمعاصي ثم لا يغار، ويعلم بصحبة ابنه لصحبة فاسدة كاسدة لا تراعي الدين، ولا تخاف رب العالمين، ثمَّ لا يقدمُ له أقل الواجبات وهي النَّصيحة له، والتذكير بالله تعالى.

✍ **وقد قال بعضهم**: «من كمال المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتُقيل في منزلك(١).

إن الكفار علموا كيف يسقطوا المجتمع المسلم، عندما حاربوا البيوت، ونشروا العهر والفجور بصفة التحضر، والتبرج بصفة الموضة، والاختلاط بنكهة الثقافة، وكل هذا يفعله أبناء جلدتنا دون علم بخطر ما يفعلون، ولا غيرة على الأمة بشناعة ما ينشرون ويدعون.

يا قوم ضعنا وضاع الدين من يدنا ... لمَّا جعلنا بوجه الدين تشويهًا(٢)

---

(١) الآداب الشرعية، (٢/ ٢٣٢).

(٢) الرسائل الحسان في نصائح الإخوان، وهي مقالات صحفية، لشيخ عبد الله بن محمد حميد، (ص٢٧)، ونشرت في جريدة اليمامة بعدد «١٣٠» بتاريخ ٣/ ١/ ١٣٧٨، بعنوان التربية والتعليم.

✍ **أيها الأب الفاضل**.....

✍ **وأيتها الأم الكريمة**.....

اعلموا أنَّ التربية الشرعية هي من الفروض الأساسيَّة التي يسأل عنها الرجل والمرأة، فينبغي عليكم أن ترسخوا في أولادكم فهم العقيدة الصحيحة، وتطبيق الآداب الشرعية السليمة، ومن أراد المجد فلا بدَّ من هم وتعب وكدٍّ، ومن أراد ولدًا بارًا فلا بُدَّ من تضحية مبذولة في تحصيل ذلك!

✍ **كما قال الشاعر**:

لا تحسبِ المجد تمرًا أنت آكلُه ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبرا

ومن أنواع التضحية التربية الشرعية والعناية بها من جميع الجوانب الحياتية، والرقابة الشرعيَّة على جميع الأمور والوقائع والأفعال بطريقة حكيمة إيمانية.

✍ **أيها الإخوان**: إن أولادكم أمانة والله في أعناقكم سوف تُسأَلون عنهم، فعلموهم شرع ربهم، وبصروا حياتهم بتثقيفهم الثقافة المرضية(١)، وتنشأتهم

---

(١) قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى، في صيد الخاطر(ص٤٩١) : (وقد كان السلف إذا نشأ لأحدهم ولد؛ شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فيثبت الإيمان في قلبه).
وروى ابن شيبة في المصنف، عن إبراهيم التميمي رحمه الله، قال:(كانوا يستحبون أول ما يفصح -يعني الصبي -أن يعلموه، لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك أولَ ما يتكلَّم به).

على أخلاق شرعيَّة،[١] طالعوهم في قصص السلف، وذكروهم بسير الأنبياء منذ طفولتهم حتى وفاتهم؛ فهذا حق تسألون عنه، وترون ثمرته إن شاء الله في الدنيا قبل الآخرة. عن عثمان بن حاطب[٢]، قال سمع ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول لرجل: «أدب ابنك، فإنك مسؤول عن ولدك ما علمته، وهو مسئول عن برك وطاعته لك»[٣].

وإياكم ووساوس الشطيان، ودعاة الانحلال، فهم والله، أصحاب شبه وشهوات، لا يريدون إلا الدمار والويلات؛ وازرعوا فيهم الغيرة الشرعيَّة المحمودة، في كلَّ شيء محبب فهي خلق عظيم، يأتي منه الخير إنْ شاء الله، كما أنَّها تكون بالفطرة والتربية الناجحة.

✍ **قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام** رحمه الله: «الغيرة على الحُرم إِحسان بالصَّون عن الفواحش الموجبة لعار الدنيا ونار الآخرة، والغيرة

---

(١) هنالك، كتب تعتني بالوصاية والآداب الشرعية، فيما يتعلق بالأولاد لثلة من أهل العلم، مثل كتاب: «النصيحة الولدية»، لأبي الوليد الباجي؛ «وأيَّها الولد» للغزالي، «ولفتة الكبد في نصيحة الولد» لأبي الفرج ابن الجوزي البغدادي، وغيرها، وقد يسر الله لي اختصارها وجمعها بكراس، سميته، «أي بني نصائح شرعية ووصاية أدبية».

(٢) عثمان بن حاطب قال عنه أبو حاتم، كما في كتاب الجرح والتعديل لابنه «يكتب حديثه، شيخ».

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (٦/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في أحكام النساء، (ص٤٣)، ط: مكتبة ابن تيمية.

ضربان:

أحدهما: باطن جبلي.

والثَّاني: ظاهرٌ، وهو تخديرُ الحُرم ومنعُهنَّ من أسباب الفواحش، كالتبرج وغيره.(١)

- ويذكر أنَّ أعرابيًّا رأى رجلًا ينظر إلى زوجته، فطلقها غيرة على المحارم، فلما عُوتب في ذلك، **قال قصيدته الهائية المشهورة، ومنها:**

وذاك لكثـــرة الشـــركاء فيـــه ... رفعـــت يـــدي ونفســـي تشـــتهيه

إذا رأت الكـــلاب وَلَغـــنَ فيـــه ... وأتـــرك حبهـــا مـــن غيـــر بغـــض

إذا وقـــع الـــذباب عـــلى طعـــام ... وتجتنـــب الأســـود ورود مـــاءٍ(٢)

✍ **وأذكرك بما قاله ابن الجوزيَّ في «المنتظم»**: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة -ثم روى بسنده -أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره الزوج فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا، فلما صمموا على ذلك، قال الزوج: لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه. فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها. فقالت المرأة: وإذ قد أراد ذلك

---

(١) انظر: كتاب شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز ابن عبد السلام، (ص٢١١)، ط: التوفيقة.

(٢) حراسة الفضيلة، (ص٨٧) بتصرف يسير.

فهو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة.(١)

✍ **قال النابغة الجعدي.**

ولا خير في عرض امـرئ لا يصـونه ... ولا خير في حلم امرئ ذل جانبـه(٢)

✍ **أيها الأب:**

تذكر أنَّه واجب عليك أن تغار، وواجب عليك أن تحفظ ابنتك من نظر الرجال، فهي أمانة مستودعةٌ عندك سوف تسأل عنها أمام الله تعالى في يوم لا ينفع فيه الندم.

واعلم أنَّ الرجال اليوم بعض منهم هم في صور الذئاب الماكرة المستوحشة تنظر لحظة تغفل فيها عن ابنتك لينقضوا عليها في لحظات تجني عليك ويلات العمر وشقاء في الدهر لما خلفوه من آثار العهر على ابنتك، فإذا لم تصن عرضك نهشوه وأكلوه.

✍ **فعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** «الشيطان من الرجل في ثلاثة منازل في بصره وقلبه وذكره وهو من المرأة في ثلاثة منازل في بصرها وقلبها وعجزها»(٣) .

---

(١) وانظر: في تاريخ بغداد للخطيب، (١٥/ ٥٣)وهو في البداية والنهاية لابن كثير، (١٤/ ٦٨٤).

(٢) الأمثال والحكم للماوردي، (ص٦٨)، ط: مدار الوطن.

(٣) أخرجه هناد في الزهد، (١٤٢٦)، ووكيع، (٤٨٥)، وعنهم ابن الجوزي بإسناد ضعيف، في ذم الهوى، (٩٢)، وعزاه السيوطي لابن المنذر، انظر: الدر المنثور ☜

وعندها فإنك في ذلك الوقت سوف تضربُ كفًا بكف من الندم وماذا يا ترى ينفع الندم.

✍ **وقد أحسن الشاعر إذ قال:**

أتبكي على لبنى وأنت قتلتها ... لقد ذهبت لبنى فما أنت صانع

قيل: كلّ حب بلا غيرة فهو حب كذاب.

وقيل: لا كرم في من لا يغار(١)

بعض الناس يترك ابنته من غير حرص أو رعاية، أو غيرة أو أمانة، فإذا ما وقع الفأس على الرأس-على رأس أبيها-وكان ذاك كالجبل هنا صار الأب يبكي! ويعض على أصابعه ندمًا بسبب هذا العار الذي خلفته ابنته، ولم يعلم أنه هو سبب عارها؟

ومن رعى غنما في أرض مسبعة ... ونام عنها؛ تولى رعيها الأسد

✍ **ومن جميل ما قاله مصطفى صادق الرافعي(٢):**

ولا عَجَبُ أنَّ النساءَ تَرَجَّلت ... ولكِنَّ تَأنيثَ الرِّجالِ عَجيبُ

بل والبعض قد يأخذ بيدها إلى أماكن المعاصي، أو تجمعات اللهو والمنكرات، دون غيرة أو خشية من الله تعالى.

(٦/ ١٧٧)، ط: دار الفكر.

(١) محاضرات الأدباء، (٢/ ٢٥٣).

(٢) قصيدة، «مدادك في ثغر الزمان رضاب».

✍ **قال الشيخ الألباني** رحمه الله، «من عجائب الورع البارد أن بعضهم يأذن لابنته بالخروج إلى الشارع سافرة بغير حجاب شرعي! ثم يأبى أن يراها الخاطب في دارها، وبين أهلها بثياب الشارع!

وفي مقابل هؤلاء بعض الآباء المستهترين الذين لا يغارون على بناتهم. تقليدًا منهم لأسيادهم الأوربيين، فيسمحون للمصور أن يصورهن وهن سافرات سفورا غير مشروع، والمصور رجل أجنبي عنهن، وقد يكون كافرا، ثم يقدمن صورهن إلى بعض الشبان، بزعم أنهم يريدون خطبتهن، ثم ينتهي الأمر على غير خطبة، وتظل صور بناتهم معهم، ليتغزلوا بها، وليطفئوا حرارة الشباب بالنظر إليها!.

ألا فتعسًا للآباء الذين لا يغارون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.(١)

✍ **ومن عجيب ما حُكي في الغيرة في هذا المقام**، «أن هارون بن عبد الله البردعيّ يقول لأهله: محرّمٌ عليك إن نظرت إلى سائلٍ يقف ببابك، وسمعت حلاوة نغمه. وكان ينهى الباعة إذا دخلوا سكنه عنّ النّداء على بضائعهم. ورأيته مرّةً يضرب عطّارًا سمعه يترنّم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسن صوته، فيقول: العود المطريّ، والمحلب واللبان والمسك والعنبر. ويردّد ذلك بصوته فيرجّعه.

فكان النّساء يستمعن إليه ويشرفن من المطالع ويتبعن الأبواب حتّى تصل عيونهنّ إلى النّظر إليه لو أراد الجماع لكفتهن الآذان وربما اشترين منه

---

(١) السلسلة الصحيحة، (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

ما لا يحتجن إليه. قال: فقلت له: يا أبا وائل، فإنّك قد انعم الله بشيءٍ كنت تمنعه! قال: جعلت فداك، إنّما أمنع منعي لنفسي لئلَّا يسمعه من في منزلي. فإنّ النّساء أسرع شيءٍ ذهاب قلوبٍ إلى النّغمة الحسنة، فإن كان معه حسن وجهٍ برئت المرأة من الله أن لم تحتل في صرف قلبه إليها، ويصير الزّوج قوّادًا. قلت: لا، ولا كلّ هذا! قال: فأسألك ألا سألته أن يستعمل هذا الكلام مرّةً أو مرّتين أو ثلاثًا في غير هذه السّكّة. فذهبنا به إلى غيرها وجعل العطّار ينادي فما أتمّ الثّالثة حتّى تحرّكت أكتافي له طربًا وجعلت لا أمرّ ولا آجي لمّا سكرت من حسن صوته. فقال: كيف تراه؟ قلت: أراه يستولي على قلوب الرّجال. قال: فكم قلب الرّجل على ترك التّهتك من قلب المرأة؟ هذا إذا كانت بلغت من السّنّ مبلغًا ونقضت شهوتها فأمّا إذا كانت شابّةً ولها فضل جمالٍ، ومعها شدّة شهوةٍ، وكثرة لذّةٍ، وهي ذات حاجة، وخالية الذّرع من الفكرة في المعاش، وخالية القلب، وقد أمنت ضرب الزّوج وتطليقه، وغيرة الأخ، وقلّة صيانة الأب، وأصابت من يشجّعها على فعلها، ويفتح لها أبواب نظرتها، ويسعى لها في طلب الصّدّيق، ويحرّضها على التّهتّك، وقد قرب منها الصّوت، وخلت من الرّقيب، ولم يكن لها في الأرض أشرافٌ، ولا أهل عفافٍ، فما يمرق السّهم من الرّمية كمروق هذه إلى الباطل»[1] . اهـ.

أيها الأزواج هناك حقوق شرعية عليكم لا تنحصر فقط في الطعام والشراب والجماع، بل هي مسؤولية شرعية متعلقة بالزوجة والأولاد، هي

---

(١) أخبار النساء، (٩٧-٩٨).

مسؤولية التربية الإيمانية والغيرة على الأهل في غير شك أو ريبة؟

✍ **قال السمرقندي الحنفي** رحمه الله: «حق المرأة على الزوج خمسة أشياء: أولها: أن يخدمها من وراء الستر، ولا يدعها تخرج من وراء الستر، فإنها عورة، وخروجها إثم وترك للمروءة(١) .

✍ **قال الألوسي** رحمه الله: «ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عن إبدائها ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن ويتسترن به إذا خرجن من بيوتهن وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية ما يبهر العيون، وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك ومشيهن به بين الأجانب من قلة الغيرة وقد عمت البلوى بذلك، ومثله ما عمت به البلوى(٢).

(١) تنبيه الغافلين، (ص٢٤٥)، ط: العصريَّة.

(٢) روح المعاني، [٩/ ٣٤١]، «تفسير سورة النور».

إلى من ينشر العهر والفجور

وفي الختام إلى كلَّ من ينشر العهر والفجور، اتقِ الله، واعلم أنّ الجزاء من جنس العمل، وتذكر أن الله يمهل ولا يهمل، وأنَّه من نشر سنَّة سيئة فعليه وزره ووزر من عمل بها، وأن الدنيا لا تبقى على حال واحدة، وأنه مها طال الليل فلا بدَّ من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال فلا بدَّ من دخول القبر.

- قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال:٣٦].

- وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان: ٦-٧].

* وعن جرير رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنَّة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من**

عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** ﷺ: «وكل لباس يغلب على الظن أنه يستعان به على معصيه، فلا يجوز بيعه وخياطته لمن يستعين به على المعصية والظلم»(٢).

«فالواجب على كل تاجر مسلم تقوى الله ﷻ والنصح لإخوانه المسلمين، فلا يصنع ولا يبيع إلا ما فيه خير ونفع لهم»(٣).

يا هذا، «اِشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة وسيأتي على تلك السوق والبضايع يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ذلك يوم التغابن يوم يعض الظالم على يديه.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... وأبصرت يوم الحشر من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا»(٤)

✍ **وأذكرك بهاتين الحكمتين**: عن الشيباني، قال: «في الكتب مكتوب كما تدين تدان وبالكأس الذي تسقي به تشرب وزيادة لأن البادئ لا بدله من

---

(١) صحيح مسلم، «كتاب العلم»، (١٥).

(٢) مجموع الفتاوى، (٢٢/ ١٤١)، وذكر ﷺ في شرح العمدة، [٤/ ٣٨٥]، «عن الإمام أحمد تحريم خياطة الثياب للجنود الظلمة، وأنه إذا فعل ذلك أعانهم على الظلم».

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، [١٣/ ١٠٩].

(٤) من كلام ابن قيم في، الفوائد، (ص٤٩)، ط: دار الفكر.

أن يزاد.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مكتوب في التوراة من تجر فجر ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها»(١).

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب:٥٧].

✍ **قال الضحاك، والكلبي**: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيغمزون المرأة، فإن سكتت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحدا، يخرجن في درع وخمار، الحرة والأمة، فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ...﴾ [الأحزاب:٥٨] الآية. ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٩] جمع الجلباب، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

✍ **وقال ابن عباس وأبو عبيدة**: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر.

---

(١) ذكرهما ابن حبان البستي، في «روضة العقلاء»، (ص١١٣، ١١٤).

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ [الأحزاب:٥٩] أنهن حرائر، ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب:٥٩] فلا يتعرض لهن، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب:٥٩] قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة، وقال يالكاع أتتشبهين بالحرائر، ألقي القناع(١).

(١) تفسير البغوي، (٦/ ٣٧٦-٣٧٧)، ط: طيبة انظر: الدر المنثور: ٦ / ٦٦٠.

أكثر المظاهر التي سببت انحلال الغيرة في قلوب الأبناء

جلوس الآباء مع الأولاد على الشاشات الماجنة التي تنشر العهر والمجون وقلة الحياء والركون، لا التذكير بالله، أو تعليم أحكام الدين، أو قنوات هادفة تهدف الطموح والعلو.

- **ومنها**: أن بعض الآباء لا يعرف في البيت إلا صراف مالي! لحاجات الأولاد وأمهم، ولا يسأل عن أمور التربية، وحال الأولاد إلا ما ندر.

- المفهوم الخاطئ لمعنى الحرية، التي صارت في حقيقتها غوغاء وفوضى لا قيد لها أو حد!

- التأثر والتبعية التي ولدت في النفس مورثات غير شرعية وأخلاقية تنمو مع مرور الأيام، ومضي السنين، حتى تنعدم الغيرة ويصبح العهر والمجون ولبس الضيق، والاختلاط من الأمور المسلمة في البيت والعائلة.

- ضعف الشخصية وتأنث الرجال في بعض المواقف والأحيان.

- ومن الأمور التي قد ينشأ بسببها انعدام الغيرة، الجهل بأحكام الشرع!

- ومنها حياة البذخ والتبذير؟

- ومن الأسباب في موت الغيرة وضياعها، الذنوب، وقد أشار إليه ابن قيم في الداء والدواء:

كما قال الشاعر:

مـــن لي بتربيـــة النســـاء فإنهـــا ... في الشـــرق علـــة ذلـــك الإخفـــاقِ

الأمُّ مدرســـــة إذا أعـــــددتها ... أعـــددتَ شـــعبًا طيـــب الأعـــراق

واجب ولاة الأمر

✍ **قال الماوردي** رحمه الله: «وإذا رأى وقفه رجل مع امرأة في طريق سابل لم تظهر منهما أمارات الريب لم يعترض عليهما بزجر ولا إنكار، فما يجد الناس بدًّا من هذا.

وإن كانت الوقفة في طريق خال، فخلو المكان ريبة فينكرها، ولا يعجل بالتأديب عليهما حذارًا من أن تكون ذات محرم، وليقل: إن كانت ذات محرم فصنها عن مواقف الريب، وإن كانت أجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك إلى معصية الله تعالى؛ وليكن زجره بحسب الأمارات»(١).

✍ **وذكر الشيخ عبد الرحمن بن نصر العدوي الشافعي في كتابه نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة**: «ولا يجوز التطلع على الجيران من السطوحات، والنوافذ، ولا أن يجلس الرجال في طرقات النساء من غير حاجة -وكذلك النساء لا يجلسن على أبواب بيوتهن في طرقات الرجال-فمن فعل شيئا من ذلك عزره المحتسب، سيما إذا رأى رجلا أجنبيا مع امرأة أجنبية يتحدثان في موضع خلوة، فإنه أشد للتهمة في حقها، والله أعلم(٢).

---

(١) الأحكام السلطانية، (ص٤٢٠)، ط: التوفيقية.

(٢) (ص١٥).

✍ **قال الإمام ابن قيم** في «الطرق الحكمية»: قد منع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهم في الطريق. فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك(١).

(١) الطرق الحكمية، (ص٢٣٨).

أين غيرة علماء الأمة

أيها الإخوان إنَّ رجوع النَّاس إلى الدين يحتاج همة عالية، وعزيمة صادقة، وأقوالًا تطابق الفعال، ودعوة إصلاحية مجيدة قائمة على الدليل، تجمع بين أصالة التاريخ وواقع الناس تنطلق بحكمة وجدية تامة، ولهذا فإنه ينبغي أن ترسخ معالم الإيمان في المجتمعات بطريقة شرعية، لا سيما مفهوم الغيرة في وقتها وبمحلها حتى لا تنقلب بضدها فيتولد بذلك الشك والريبة فيحصل بسببها النزاع والاختلاف والشقاق والافتراق.

إنَّ الغيرة التي نقصدها أن يكون مجتمعنا مجتمع مسلم مثالي تكون فيه صفة الرعيل الأول ويحمل هم الغيرة على الدين ونشر معالمه وأصوله في المجتمعات الغير مسلمة، وهذه الغيرة واجبة ووجوبها مؤكد بحق أهل العلم؟ إذ أنَّ الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق في تبيان الحق والدعوة إليه والوقوف في وجه الباطل والتحذير منه بكافة أشكاله ووسائله، لا سيما في زماننا هذا.

غيرة واجبة إذ أنَّ العلماء هم أمراء الناس وولاة أمرهم، وورثة الأنبياء وهم دعاة الحق، وأهل التبجيل والتجليل عند الله وعند الخلق، ولو لم يكن في العلم في بيان فضله والثناء على أهله إلا ذكر ربنا الجليل إياهم في معرض إشهادهم على وحدانيته لكفى بذلك شرفًا ورفعةً.

«وقد جعل سبحانه طاعتهم على جميع الخلق واجبة، ومعصيتهم محرمة، من أطاعهم رشد ونجا، ومن خالفهم هلك وغوى، هم سرج العباد ومنار البلاد، وقوام الأمم، وينابيع الحكم في كل وقت وزمن، وصفهم الله ﷻ، بالخشية والاعتبار، والزهد في كل ما رغب فيه الجهلة الأغمار»(١).

ومن أوجب الواجبات بحقهم الغيرة على الحرمات أن تؤتى وعلى المقدسات أن تدنس، والغيرة على السنَّة في ظل نشوب البدع وتولدها في المجتمع بين الفينة والأخرى.

واجبة لما يلاقيه المجتمع المسلم من تغريب للدين، وتشويه لخصال الفطرة وحصر الحق في زمرة الهوى والتبعية الدنيئة من دعاة التحرر؛ فعلى أهل العلم، محاربة الشرك بأنواعه، والسحر بأشكاله ووسائله، والأفكار المنحلة ومعاول الهدم، وعصابات الإلحاد، ودعاة العلمنة، وأهل الدياثة والتبرج، فضلًا عن محاربة الوضاعين الجدد الذين يكذبون ويحدثون الناس بلا علم ولا سند! ومثلهم أهل البدع الخرافية وجماعات الحج إلى القبور والمشاهد، وغيرها كثير، وهذا واجب شرعي لا مناص عنه ولا فرار منه، بل واجب الأمانة الشرعية التي أخذها الله تعالى على أهل العلم أن يبلغوه ولا يكتموه وتبليغه الذي تبرئ به الذمَّة ولو بالقليل، وتبليغ أهل الهمم ألا يمَّلوا وأن يضعوه في موضعه، وقد قيل زكاة العلم تبليغه ونصابه ولو آية، فشمروا

---

(١) ما بين القوسين، من كلام أبي العالية، رحمه الله، رواه عنه ابن بطة العكبري بإسناده، في إبطال الحيل، (ص١٠).

عن ساعد الجد وتوكلوا على الله، فالله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

غيرةٌ واجبة ونصرة متحتمة للمظلومين وسمعًا وطاعة لمن أوجب الله تعالى نصرتهم كما جاء ذلك مسندًا عن النبي الأمين صلى عليه الله أعظم صلاة وأتم تسليم في الصحاح والسنن والمسانيد!

* فعن جابر وأبي طلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يخذل امرأ مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**»(١).

* وعن البراء بن عازب، قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع «قال: فذكر ما أمرهم: «**من عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام وإبرار المقسم، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم. ونهانا عن آنية الفضة، وعن خاتم الذهب، أو قال: حلقة الذهب، والإستبرق، والحرير، والديباج، والميثرة، والقسي**»(٢).

* وعن حميد، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك**

---

(١) رواه أحمد في المسند، بإسنادٍ ضعيف، (١٦٣٦٨) والمنذري في الترغيب والترهيب، (٣٣٧٩)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، «عن جابر وأبي أيوب رضي الله عنهما»، (١٢١٣٨)، وقال: « قلت: حديث جابر وحده رواه أبو داود، رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن»، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، (٥٦٩٠).

(٢) رواه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦)، وأحمد في المسند، (١٨٥٠٤) والنسائي مختصرًا في الكبرى.

ظالما أو مظلومًا» قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالما؟ قال: «**تأخذ فوق يديه**»(١).

- فأين لنا اليوم من يُنجد الحرمات من دنس الكفار، ومن يستحي على أعراض المسلمات من لوثت العهر التي أصيبت بها المجتمعات.

- أين أهل المال! وأهل السخاء!

ينفقون أموالهم في مشاريع الخير، والدعوة إلى الله.

- أين أهل العلم، وأصحاب الحلم، ورجال البيان وحملة القرآن، يعلمون الأمة ويثقفونها بدين ربها.

- أين الذين يتنازلون عن الخلافات الفرعية، ويجتمعون لحل المشاكل الأصلية، حتى تعود الأمة الإسلاميَّة على ما كانت عليه في عصر النبوة والخلافة الراشدة.

✍ **قال الشيخ أبو الحسن الندوي**: «والأقطار الإسلامية اليوم بحاجة إلى فريقٍ يتجرد عن المطامع ويخلص للدعوة ويبتعد عن كل ما يوهم بأنَّ همه الدنيا والمادة والتغلب على الحكومة لنفسه أو عشيرته أو حزبه، يحل العُقَدَ النفسية والعقلية التي أحدثتها الثقافة الغربية أو أخطاء «رجال الدين» أو سوء التفاهم أو قلة الدراسة والابتعاد عن الإسلام وجوه، بالمقابلات والصداقات

---

(١) رواه البخاري مختصرًا، (٢٤٤٣)، وبتمامه، ب (٢٤٤٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، «باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا»، بأطول مما في البخاري، ر(٦٢).

والمحادثات والمراسلات والرحلات وبالأدب الإسلامي الصالح المؤثر وبالروابط الشخصية، وبالنزاهة وعلو الأخلاق وقوة الشخصية والزهد في حطام الدنيا والعزوف عن الشهوات وتمثيل أخلاق الأنبياء وخلفائهم»(١).

✍ **يقول الشيخ علي الطنطاوي** رحمه الله: «لذلك كنت صديقًا للجميع وكنت أقدر الناس (والحمد لله) على جمعهم. حتى إن الشيخ أمجد الزّهَاوي رحمة الله عليه جاءنا مرة مع الصديق الشيخ محمد محمود الصوّاف، فقابلتهما في الفندق الذي نزلا فيه بعد العصر، فثار عليّ الشيخ الزّهَاوي ثورته المعهودة التي تبعثها الغيرة على دين الله والحماسة في الدعوة إلى الله، وقال: أفندي، إنتو قاعدين ما تعملون شيء. لماذا لا يجتمع العلماء ويُصلحون؟

قلت له: كم مرة اجتمعوا فكان اجتماعهم بأجسامهم وحدها وأرواحُهم متفرّقة، فما أفاد اجتماع.

قال: أنت، عليك أنت أن تجمعهم والنجاح على الله. قلت: سأجمعهم لك الليلة إن شاء الله بعد العشاء.

واتصلت بهم واحدًا بعد واحد، من أقصى جماعة السلفية إلى أقصى جماعة الصوفية، ودعوتهم إلى الاجتماع في دار الحديث الأشرفية بعد العشاء، فما تخلّف منهم أحد.

وتكلّمت أقدّم إليهم الشيخ أمجد، فتكلّم الشيخ أمجد كلامًا كله إخلاص، ثم تكلّم الشيخ الصوّاف باندفاعه وحماسته وجهارة صوته حتى

(١) ردة ولا أبا بكر لها، (ص١٧)، ط: دار المطبوعات الحديثة.

توهّمنا أن نار الحماسة قد أُضرِمَت بين جوانحهم وأنهم صاروا مستعدّين للعمل، وقلت لهم: إننا لا نريد من أحد منكم أن يبدّل طريقه أو أن يعمل شيئًا لم يكن من قبلُ يعمله، إنما نريد أن يكون عملنا موحّدًا، فإذا نزلَت بالمسلمين نازلة وكّلنا من يوصل إليكم خبرها، فمن أراد أن يعمل عمل ما رآه؛ فالخطيب يخطب على منبره، والمدرّس يعرض للقضية الطارئة في درسه، وصاحب القلم يكتب فيها بقلمه، ومن لم يكن له قلم ولا لسان يحدّث بها إخوانه وأصحابه.

ولعل الذين يتابعون هذه الذكريات يذكرون أنني جمعت العلماء مثل هذا الجمع وأنني قلت لهم مثل هذا الكلام سنة ١٩٣٧ لمّا رجعت من العراق إلى الشام، وأننا انتخبنا يومئذ لجنة من ثلاثة عملها أن تُبلغ هؤلاء العاملين بما يطرأ على الإسلام والمسلمين، وكان الثلاثة يومئذ هم الشيخ ياسين عرفة، والأستاذ محمد كمال الخطيب، وكاتب هذه السطور. وكلهم اليوم حيّ يُرزَق.

هذا ما كان سنة ١٩٣٧، أما هذا الاجتماع الذي أتحدّث عنه (سنة ١٩٥٩) فقد وقّع فيه الحاضرون جميعًا على ميثاق إسلامي يعملون فيه للإسلام ولدفع الشبهات ولتخليص أبنائه من الوقوع بيد أصحابها. ولم نكن نريد سياسة ولا نريد رياسة، ولا نريد كسبًا دُنيَوِيًّا.

وافترقنا بعدما وقّعنا الميثاق، وكانت هذه الجلسة هي الأولى، وكانت هي الأخيرة.

✍ **ورحم الله الإمام ابن القيم إذ يقول:** «وأيُّ دينٍ وأيُّ خير فيمن يرى

محارمَ اللهِ تُنْتَهك وحدوده تضاع ودينه يُتْرك وسنَّة رسولُ الله ﷺ يُرغَبُ عنها وهو باردُ القلبِ ساكتُ اللسان شيطانٌ أخرس... وهل بليةُ الدينِ إلا من هؤلاء الذين إذا سَلِمَتْ لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاةَ لهم بما جرى على الدينِ وخيارهم المتحزِّنُ المتباكي ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضةٌ عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذَّل وجدَّ واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء- مع سقوطهم من عينِ الله ومقْتِ الله لهم- قد بلوا في الدنيا بأعظم بليةٍ تكون وهم لا يشعرون وهي موت القلوب(١).

✍ **وقال الإمام ابن الجوزي** رحمه الله: «أيها الناس لقد دارت رحى الحرب، ونادى منادي الجهاد وتفتحت أبواب السماء، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب فأفسحوا الطريق للنساء يدرنا رحاها، واذهبوا وخذوا المجامر والمكاحل يا نساء بعمائم ولحى(٢).

فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء في المنازل والحجل
ودونكم طيب النساء وإنما ... خلقتم جميعًا للتزين والكحل(٣)

✍ **ورحم الله الإمام ابن المبارك إذ يقول:**

وهل أفسَدَ الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

وما حال أهل الأندلس ببعيدٍ عن حال أهل الإسلام في مشارق الأرض

---

(١) إعلام الموقِّعين (٢/ ١٥٧-١٥٨).
(٢) قصص من التاريخ لشيخ علي الطنطاوي، (١/ ٢٦٤).
(٣) من كلام غفيرة بنت غفار، انظر: المحاسن والأضداد؛ للجاحظ، (ص٢٥٥).

ومغاربها، في زماننا اليوم؟

أعنـدكم نبـأٌ مـن أهـل أنـدلس ... فقـد سـرى بحـديث القـوم ركبـان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهـم ... قـتلى وأسـرى فمـا يهتـزّ إنسـان
لمـاذا التّقـاطع في الإسـلام بيـنكم ... وأنـتم يـا عبـاد الله إخـوان
ألا نفـوسٌ أبيَّـات لهـا همـمٌ ... أمـا عـلى الخيـر أنصـار وأعـوان
يـا مـن لذلّـة قـومٍ بعـد عـزوّهم ... أحـال حـالهم جـورٌ وطغيـان
بـالأمس كـانوا ملوكًـا في منـزلهم ... واليـومَ هـم في بـلاد الكفـر عبـدانُ
فلـو تـراهم حيـارى لا دليـل لهـم ... علـيهم فثيـاب الـذُّلّ ألـوان
ولـو رأيـت بكـاهم عنـد بـيعهمُ ... لهالـكَ الأمـرُ واسـتهوتك أحـزان
يـا ربَّ أمّ وطفـل حيـل بينهمـا ... كمـا تفـرقُ أرواح وأبـدان
وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنمـا هـي يـاقوت ومرجـان
يقودهـا العلـج للمكـروه مكرهـة ... والعـين باكيـة والقلـب حيـران
لمثل هذا يـذوب القلـب مـن كمـد ... إن كان في القلب إسـلام وإيمـان[1]

(١) نفح الطيب للتلمساني، (٤/ ٤٨٨)، وجواهر الأدب، لأحمد الهاشمي، (٢/ ٣٨٧).

النداء الأخير إلى عموم الأمة

اعلموا يا اخواني أنَّ جُلّ ما تعانيه الأمة من النكسات والرجوع إلى الوراء، في نفس الوقت الذي يتقدم فيه أعداء الله سببه فَقْدُ أصحابِ الهمم العالية وفقدهم في بعض الأوقات أكثر حرجًا وأعظم مأساة.

ومن حكم الله أنّ أعداء الله وإن كانوا لنا محاربين لم يكونوا من أهل التواكل بل عندهم من الهم والهمَّة في نشر الباطل وإشاعة الفواحش والمنكرات(١) وفصل الدين عن الحياة؛ كما قام به أدعياء الإسلام، الذين تلوثوا بفكر أعداء الدين والذين ما تمكنوا من إقناعهم إلا بهممهم العوالي التي جدوا في سبيل تحقيقها وتروجيها في مجتمعاتنا بشتى الأصناف والوسائل مشتغلين على أنفسهم وذلك بإرسالها عبر جميع وسائل التواصل

(١) بل وعندهم من التطور في كثير من الجوانب الحياتية، ممّا ليس عندنا نحن أهل الإسلام، وليس بذاك بحديث، قال الشافعي رحمه الله، كما ذكره الذهبي في سير الأعلام، في ذكر الطبقة العاشرة (لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام، أنبل من الطب! إلا أنَّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه!
قال حرملة: وكان - الشافعي رحمه الله -، كما في نفس المصدر، يحزن على تضييع المسلمين لعلوم الطبّ، ويقول: ضيَّعوا ثلثَ العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى.
وانظر« مناقب » البيهقي و« توالي التأسيس ».

من إنترنت والشبكات التلفزيونية والصحف والمجلات وعن طريق الحملات والدعاة؛ قاطعين بهممهم قطار الزمن بأقل الإمكانات؛ وخير شاهد على ذلك محورين يمكن أن نكتشف كيف يعمل عدونا.

المحور الأول:

نشر التشيع من المعلوم الذي كنا نراه في مجتمعاتنا أن التشيع شيء شنيع ومن رمي به في المجتمع فقد رمي بسوء عظيم، تمكن أعداء الله من نشر فكرهم عن طريق القنوات الرافضية الناطقة بعدّة لغات أشهرها العربية وهم لهم بذلك غاية معلومة بيت الله، ثم دحر أحفاد معاوية -يعني السنة- والسطو على عاصمة الأمويين، واستباحة المقدسات والخيرات في أرض العرب.

وقد تمكنوا من نشر أفكارهم عبر دعاتهم من أصحاب الصوت الحسن الذي أصبح كثير من الشباب يستمع للطميات الشيعية على أنه صنف طرب وفي بعضه شرك أكبر.

نشروه عن طريق دعاتهم الذين وصلوا إلى القارة السمراء -أفريقيا-، وكذلك الهند وغيرها، ونشروا خزعبلاتهم هناك مستغلين جلوس دعاة أهل السنة، وأهل العلم إلا من رحم الله وتقاعسهم ولو وُجِد دعاة هناك فهم يعانون من مشاكل.

أشهرها: «قلة الإمكانات -صعوبة التأقلم- عدم الديمومة في الدعوة؟ فهي دعوة متقطعة! ليس فيها استيطان ولو لمدة زمنية ما، والعوائق في هذا الجانب كثيرة»

وينبغي الحذر من فتور العزيمة والرجوع بدل السير، والتباطؤ بدل السعي، فإن هذه من أكثر الأمور هلاكًا ووبالًا على الداعية، وصاحب الهمّة والغيرة

✍ **قال الإمام ابن الجوزي** رحمه الله وهو يتكلم عن برد العزيمة، في كتابه «التذكرة في الوعظ»: «يؤثر في الاعمال والنيات كما يؤثر برد الشتاء في ناضر النبات يلفح البرد مخضر الشجر فيصير يابسًا ويسقع مفتر الزهر فيعود عابسًا فكذلك برد العزيمة يجعل العامل عاطلًا والنابه خاملًا فإن لم يكن بد من الفتور عن طلب الخيرات فأضعف عن السيئات ضعفك عن الحسنات».

هذا كله كان بأوجز الاختصار عند الرافضة.

وأما المحور الثاني:

وهو واقع التنصير -وهو ما يعرف بحملات التبشير- وهو ليس ببعيد عمّا يحدثه الروافض الأنجاس.

فقد اتبعوا بذلك مخططاتٍ قوية، ووسائل عصرية، حتى صار غزو الكفار في عقر دار المسلمين خطير لأنه مسَّ مواضيع عقدية عدَّة بطريقة مسيَّسة، مع وجود من يروج لهم من أصحاب البطون والعقول الفارغة من أهل التعالم الذين لا يعرفون إلا القشور، وقد ظهر ذلك (بدعوى أن النصارى لهم دين كدين الإسلام ولهم حقوق في بناء الكنائس)[١]، وكذلك ظهور

---

(١) انظر: «حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين» لشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمه الله، طباعة الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء.

أخطر نظرية عميّة تجتاح الأمة الإسلامية، نظرية: «الخلط بين الأديان» وقد رد عليها جماعة من أهل العلم وكان من أخطر ما جيء من أثار هذه النظرية جواز تسمية المسلمين بغير أسماء أهل الإسلام، إصدارهم كتاب يجمع في دفته «القرآن الكريم، التوراة، ولإنجيل» وغير ذلك من نواقيس الحرب الصليبية التي تدق في أرجاء الديار وفي الذات داخل ديار المسلمين ولكن حال أهل الإسلام إلا من رحم الله صمم بكم لا يرى ولا يتكلم ولا حتى يسمع ولا يعي الخطر المحدق.

فضلًا عن نشر الإباحية والمنكرات من خمور واختلاط وادعاء لحرية مكذوبة تجوَّزُ لصاحبها فعل ما يريد دون أن يكون لأحدٍ حق في الوقف في وجهها أو اعتراضها.

يذكر لي رجل ممن التقيت بهم يقول عندما كنَّا نذهب إلى أفريقيا، نجد بعض المنصرات ممن يعملن على تنصير الناس هناك، يحلقن شعورهن!

فسألتُ عن ذلك؟

فقالوا لنا، إنهنَّ ليس لديهن وقت لتسريح الشعر وتمشيطه!!!

ماذا نقول يا عباد الله، ماذا نقول يا أهل الإسلام، في ظل هذه الحرب الضروس وأهل الإسلام جلوس.

ويذكر «أن أحد الدعاة، زار قبل اثنتي عشرة سنة (١٣٨٤هـ) أقطار غربي القارة الأفريقية فسأل أحد رجال الدين الإسلامي في قطر من تلك الأقطار عن ولده الذي كان يلقاه حين يحل في دار أبيه الشيخ، فأجابه متنهدًا: «لقد

تمدن»! وتعبير فلان تمدن في تلك الأصقاع، أصبح من التعابير الشائعة، ومعناه «تنصر فلان» وهو يطلق على المسلم الذي ارتد عن دينه، فأصبح نصرانيا، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، كما يطلق على غير المسلم الذي اعتنق النصرانية أيضًا.

وسبب اقتران «التنصر» بالتمدن في هذا التعبير، هو أن الإرساليات التبشيرية في أفريقية التي تعتمد على المؤسسات الدينية المسيحية في تمويلها، وعلى الدول الاستعمارية، وعلى شبكات المخابرات الأجنبية، وشركات النفط الاحتكارية، والبيوت المالية الكبرى، وعلى الصهيونية العنصرية ودولة العدو الصهيوني، قد أقامت مدارس ومعاهد وجامعات، في المناطق الحيوية من أفريقية، وحرمت غير المسيحيين من الانتماء إليها وتلقى العلم فيها، فأصبح لزامًا على غير المسيحيين من مسلمين وغيرهم، أن يعتنقوا المسيحية أولًا، وأن يثبتوا تمسكهم بالمسيحية ثانيا، من أجل قبولهم تلاميذ وطلابًا في تلك المدارس والمعاهد والجامعات التبشيرية، حتى ينالوا شهاداتها العلمية بعد تخرجهم فيها، تلك الشهادات التي تؤهلهم لتسلم المناصب الحكومية في الدولة، وترفعهم إلى المكانة المرموقة في المجتمع، وتفتح أمامهم أبواب العيش الرغيد.

من هنا اقترن التنصر بالتمدن، فلا عجب أن يكون أحد رؤساء جمهوريات أفريقية في الوقت الحاضر مسيحيًّا، وأمه ووالده وأخواته وإخوانه وأهله وعشيرته لا يزالون مسلمين وقد أقام في كل قرية ومدينة كنيسة حتى ولو كانت القرية أو المدينة مسلمة، وحارب المسلمين في عقيدتهم وأرزاقهم

تعصبا لدينه، وفتح بلاده على مصراعيها للمبشرين.

وقد عقد مؤتمر إسلامي مسيحي في ليبيا (سنة ١٣٩٦هـ) مثل فيه الجانب الإسلامي اثنا عشر عالمًا، ومثل فيه الجانب المسيحي اثنا عشر عالمًا من الكاثوليك على رأسهم كاردينال ممثلًا للبابا، وكان من ضمن ممثلي الكاثوليك اثنان من الأفارقة كانوا مسلمين فأصبحوا اليوم من كبار رجال الدين المسيحي![1]

✍ يا أرباب الدعوة:[2]

طالعوا في هذه الإحصائيات والأرقام عن نشاط المنصرين في عام، «١٩٩٦»م وكم هو الفارق ونحن في «٢٠١٧».

١- بلغ ما جمعته المنظمات التنصيرية مبلغًا قدره (١٩٣) مليار دولار أمريكي!

٢- بلغ عدد المنظمات التنصيرية، (٢٣٣٠٠) منظمة عاملة.

٣- بلغ عدد المنظمات التنصيرية، التي ترسل منصرين إلى الخارج (٤٥٠٠) منظمة.

٤- بلغ عدد المنصرين الذين يعملون داخل أوطانهم (٤٦٣٥٥٠٠)

---

(١) نقلًا من أهمية الدعوة لمحمود شيت خطاب بتصرف يسير، ط: الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة.

(٢) انظر: كتيب «ماذا قدمت لدين الله» صادر عن القسم العلمي بمدار الوطن، «٤-٥».

منصرًا، أما الذين يعملون خارج أوطانهم فعددهم، (٣٩٨٠٠٠) منصرًا.

٥- بلغ عدد نسخ الإنجيل التي تم توزيعها خلال عام واحد، (١٧٨٣١٧٠٠٠) كتابًا.

٦- بلغ عدد المجلات والدوريات التنصيرية، (٣٠١٠٠) مجلة دورية.

٧- بلغ عدد الإذاعات والمحطات التليفزيونية، (٣٢٠٠) إذاعة ومحطة تلفزة مختصة بالتنصير.

٨- بلغ عدد أجهزة الكمبيوتر في المؤسسات التنصيرية، (٢٠٦٩٦١٠٠) جهازًا، [نقلًا من كتاب ليس عليك وحشة]

* وما خفي من المخططات السرية والوثائق المجهولة في تغريب المجتمعات الإسلامية، وتنصير البلاد الإفريقية، وغيرها من بلدان العالم، لهو أدهى وأمر.

إن الواجب على المنظمات الإسلامية، والبعثات الدعوية، أن تكون محكَمة إحكاما تامًا من حيث التراتيب الإدارية، والموارد المالية، وانتقاء العناصر الفعالة، بعيدًا عن مطامع الدنيا وحظوظ النفس البشرية.

وأن يتقاسموا الأعمال ويبدأوا بالأهم فالأهم، وأن يعملوا على كسب محبة الناس، فمن لانت كلمته، وجبت محبته.(١)

---

(١) كتبت بمنَّة علي رسالة، بعنوان، (في طريق الدعوة إلى الله)، وأخرى بعنوان، (علو الهمَّة).

✍ **أقول** في ختام هذا المبحث اعلموا يا اخواني وأخواتي، لم يكن مقصدي في المبحث الأخير(١) إلا حث أهل العلم أن يغاروا على الحرمات والمقدسات، والمقام في هذا يطول إذ أردنا عرض الصور والمواقف التاريخية ومن جميل كلام أبي أسامة قوله: «جزى الله خيرًا من أعان الإسلام بشطر كلمة»(٢).

واحذر يا أخي من الشبه فهي سلاح إبليس القتال، قال ابن قيم ﷺ، وقال لي شيخ الاسلام ﷺ، «وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرًا للشبهات أو كما قال.

فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وإنا سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها فأنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها وأما صاحب العلم واليقين، فإنه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره الى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقته(٣).

---

(١) (ص١٢٧)، وما بعد.

(٢) الإبانة لابن بطة، (١/ ٣٨)، ط: دار الحديث.

(٣) مفتاح دار السعادة، (١/ ١٧٦)، ط: دار الحديث.

أسأل الله أن يستعملنا ولا يستبدلنا وأن يغفر لنا ويرحمنا، هذا والله تعالى أعلم، وقد تم ما أردتُ بيانه مما شرعت بكتابته من فضل الله علي ومنته، فالله أسأل لي القبول والسداد، وللقارئ النفع والرشاد، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وكتبه

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

في موطن هجرته بعيدًا عن أهله وكتبه راجيًا الله الستر وحسن الخاتمة، والعفو عنه وعن أهله أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تمَّ في ١٥صفر، ١٤٣٨هـ

الفهرس

المقدمة ٧
أهمية الحديث عن الغيرة..... ٩
معنى الغيرة ٢٢
الغيرة، وأقسامها، وحال الناس فيها ٢٤
الغيرة في الشرع ٢٩
أحاديثٌ في الغيرة: ٢٩
إجلال النبي ﷺ لمعاني الغيرة، وذكر غيرة الصحابة ٣٧
ومن الأحاديثِ في معرضِ الذكر لا للحصر:..... ٤٠
الصديق رضي الله عنه : ٤٦
عمر الفاروق رضي الله عنه : ٤٧
غيرة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه : ٤٩
غيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ٥٠
غيرة معاذ رضي الله عنه : ٥١
أبو هريرة رضي الله عنه : ٥٢
حديث موقوف عن ابن مسعود رضي الله عنه :..... ٥٢
غيرة سعد بن عبادة: ٥٣

غيرة ابن عمرو رضي الله عنهما : ٥٣
غيرة بلال ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم : ٥٤
غيرة شاب مسلم: ٥٤
«حديث أم عطية، ومفهوم السلف له»: ٥٥
رسالةٌ من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ٥٧
حديث في الباب: ٥٨
صور وأخبار عن الغيرة: ٦٠
سبل الوقاية من داء الدياثة ٧٤
ومن سبل الوقاية البعد عن الحشيشة والخمر: ٧٦
ومنها غض البصر: ٧٧
الصحبة: ٧٧
من مخلَّفات عدم الغيرة العشق ٨١
حقائق تاريخية في تحقيق معنى الغيرة الشرعيَّة ٨٥
حرب الفجار: ٨٦
غزوة بني قينقاع: ٨٧
«المشركون وسياسة الحرب في غزوة أحد»: ٨٧
اليوم يوم الغيرة: ٨٨
سياسة عمر رضي الله عنه وغيرته ٨٩
وا حجَّاجاه: ٩٠

وا معتصماه: ٩١
إنَّ ابني أسير في بلاد الروم: ٩٢
في «بلخ»: ٩٣
في قرن السابع الهجري: ٩٤
ومن مظاهر النصرة بسبب الغيرة: ٩٦
غيرة عمير بسبب سخرية عصماء بنت مرون بالنبي ﷺ والمسلمين: ٩٨
رجل أعمى يقتل أم ولد لأنها تسب النبي ﷺ: ٩٩
الكلب يغار على من سخر من النبي ﷺ: ١٠٠
غيرة الزنابير لمن سب الصديق أبو بكر، والفاروق عمر رضي الله عنهما: ١٠١
إلى معشر النساء ١٠٣
قصص فيها الدروس والعبر ١١٤
سبب غربة العفة والحياء: ١٢٢
رسالة تذكير: ١٢٤
وذكري غيرك، بهذه القصة: ١٢٥
ذكر صور من لزوم نساء المسلمين البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة ١٢٧
رد على دعاة التحرر ١٣٢
ضوابط عمل المرأة ١٣٤
نصائح مستعجلة ١٤١
ذكر الحياء وأقسامه، وعلاقته بالغيرة ١٤٤

الحياء من صفات الأنبياء، والصالحين ١٤٨
ذكر حياء من كان قبلنا، خوفًا من الله، وغيرة على المحارم..... ١٥٤
اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه:..... ١٥٤
توبة الكفل: ١٥٥
قصة شاب عابد: ١٥٦
زوجة عبيد بن عمير: ١٥٩
ذكر صور من حياء الصحابة ١٦١
حياء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ١٦٣
ذكر جزء من حديثِ الإفك: ١٦٤
ذكر أسماء رضي الله عنها : ١٦٦
ذكر فاطمة رضي الله عنها : ١٦٦
ذكر أم خلاد: ١٦٧
حفصة بنت سيرين: ١٦٧
ختام الكلام في هذا الفصل: ١٦٨
إلى الآباء والأمهات..... ١٧١
من عجيب ما حُكي في الغيرة في هذا المقام ١٧٨
إلى من ينشر العهر والفجور ١٨١
أكثر المظاهر التي سببت انحلال الغيرة في قلوب الأبناء ١٨٥
واجب ولاة الأمر ١٨٧

أين غيرة علماء الأمة ١٨٩
النداء الأخير إلى عموم الأمة ١٩٧
الفهرس..... ٢٠٦